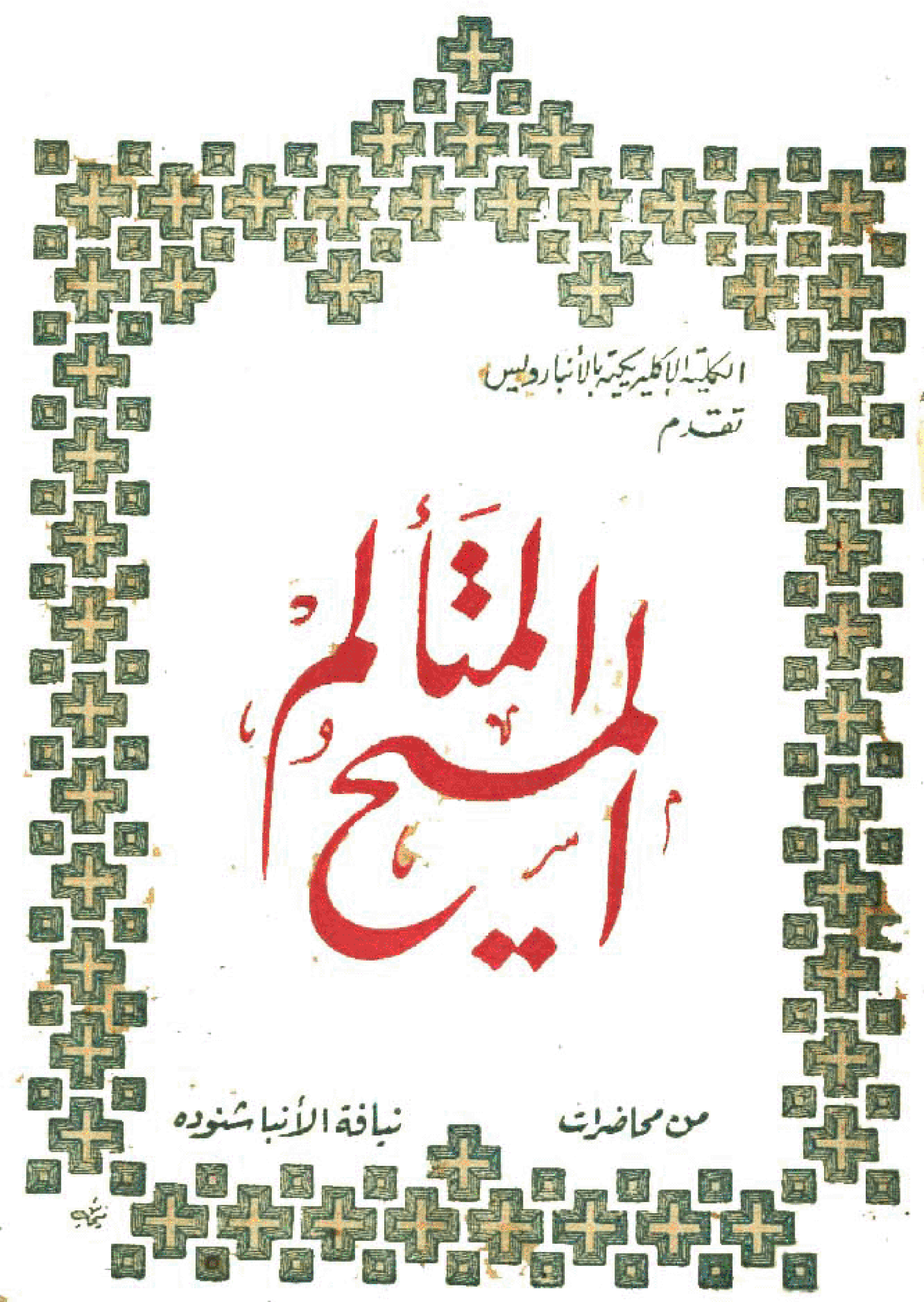
htm




الكلية الإكليريكية بالأنبا رويس
تقدم
المسيح المتألم
من محاضرات
نيافة الأنبا شنوده

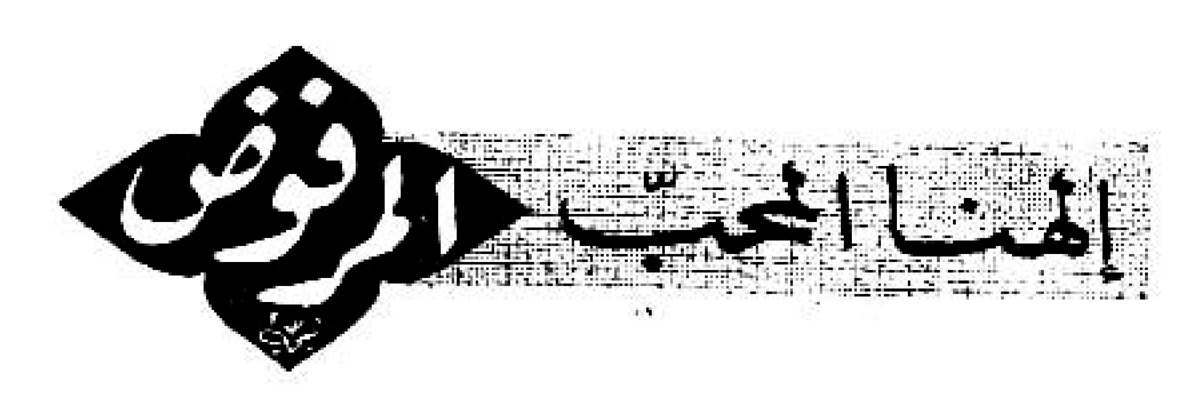


صاحب القداسة والغبطة البابا كيرلس السادس
بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

فهرست

الموضوع	صفحة
١ ـ الهنا المحب المرفوض	٥
٢ ـ كلمات المسيح على الصليب	٢٣
مقدمة	٢٤
يا أبتاه اغفر لهم ، لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون	٢٩
اليوم تكون معى فى الفردوس	٤٠
هذا ابنك ... هذه أمك	٥٥
الهى الهى لماذا تركتنى	٦٠
أنا عطشان	٦٧
قد أكمل	٧٠
فى يديك استودع روحى	٧٤
فاعلية هذه الكلمات فى حياتنا...	٧٧

- ١ -



« رفضونى أنا الحبيب مثل الميت المرذول »
(مز ٣٧ : ٢)

الرؤساء اضطهدونى بلا سبب
(مز ١١٩ : ١٦١)

أكثر من شعر رأسى الذين يبغضوننى بلا سبب
(مز ٦٩ : ٤)

رجل أوجاع ومختبر الحزن

ان آلام السيد المسيح لم تكن قاصرة على الصليب ، ولا على الآلام السابقة للصليب مثل الجلد والضرب والبصاق والاهانة والاستهزاء وحمل الصليب وعبارات التحدى الجارحة وشهادات الزور ... فقد لخص الكتاب حياة الرب بالجسد فى تلك العبارة العميقة المملوءة بالمعانى وهى وصفه بأنه « رجل أوجاع ومختبر الحزن » (أش ٥٣ : ٣) .

ان كل هذا يعطينا فكرة عن اخلاق الناس وموقفهم من الله ، وعن الفرق الكبير بين معاملتهم له ومعاملته لهم ...

ان السيد المسيح جاء الى العالم من فرط محبته للناس، وعاش محبا لهم وباذلا وشفوقا . ومع ذلك كان مرفوضا منهم « الى خاصته جاء ، وخاصته لم تقبله » (يو ١ : ١١) كان نورا للعالم . وهذا « النور أضاء فى الظلمة ، والظلمة لم تدركه » (يو ١ : ٥) . « وأحب الناس الظلمة أكثر من النور ، لأن أعمالهم كانت شريرة » (يو ٣ : ١٩) .

قيل عن المسيح الهنا الحنون انه لم يجد موضعا يسند فيه رأسه (متى ٨ : ٢٠) ، ليس فقط من جهة الجسد ،

وانما أيضا من جهة المحبة ومعاملة الناس • لم يجد محبة تماثل محبته ، ولا معاملة طيبة تماثل معاملته الطيبة للناس• لقد عاش وسط أشخاص جاحدين، ناكرين للجميل، ناكرين للحب ، لا يعاملونه كما يعاملهم •••

انه درس لنا حتى لا نتضايق اذا قوبلنا فى الحياة بأشخاص جاحدين أو خائنين أو ناكرين للجميل ••• وان أحببنا الناس من كل القلب ، ولم يبادلونا حبا بحب ، فلا يصح أن نتضايق ، فهكذا كان المسيح ••• أحب الناس حتى المنتهى ، أما هم فأحبوا الظلمة أكثر من النور•• بل أكثر من هذا يقول عنه أشعياء النبى انه كان « محتقرا ومخذولا من الناس » (أش ٥٣ : ٣) • ويقول عنه داود النبى « عار عند البشر ومحتقر الشعب » (مز ٢٢ : ٦)

ذهب الى مدينته ، فرفضوا أن يؤمنوا به • **وهزأوا قائلين** « **أليس هذا هو ابن النجار** ••• من أين لهذا هذه الحكمة والقوات !! » فكانوا يعثرون به (متى ١٣ : ٥٤ ـ ٥٨) ••• حتى قال لهم الرب « ليس نبى بلا كرامة الا فى وطنه وفى بيته » ••• وذهب مرة الى احدى قرى السامرة ، فأغلقوا أبوابهم فى وجهه « ولم يقبلوه » (لو ٩ : ٥٣) • وكان الأمر مهينا لدرجة أن تلاميذه اقترحوا أن ينزل نارا من السماء فتفنى هؤلاء الرافضين • أما الرب فقابل رفض كل هؤلاء بحب • وظل يسعى وراءهم حتى كسبهم أخيرا له•

ان كسب محبة الناس تحتاج منا الى صبر والى بال طويل • لا تظن انك ستكسب محبة الناس بسهولة ،فأحيانا تكون قلوبهم صلبة وشديدة ولا يمكن دخولها بسرعة • فان تعبت فى دخول قلوب الناس ، فاصبر ولا تتضايق • وان دخلت قلوبهم وطردوك منها ، فلا تتضايق أيضا • وان دخلت قلوبهم ولم تجد فيها محبة مثل محبتك ، فلا تتبرم ولا تحزن • تعجبنى كلمة جميلة قالها لى أحد الآباء الرهبان وهى :

« **عملنا هو أن نحب الناس ، دون أن ننتظر محبتهم لنا** » •

حدث هذا مع الله منذ البدء ••• كان يحب الناس ، وهم ينكرونه ، ويكسرون وصاياه ، ولا يعترفون بوجوده • ولكن شر الناس لم يستطع أن يبطل بر الله ولا محبته ، ولم يعامل الناس كما يعاملونه • بل ما أجمل قول المزمور « لم يصنع معنا حسب خطايانا ، ولم يجازنا حسب آثامنا » (مز ١٠٣ : ١٠) وهكذا فانه « يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ، ويمطر على الأبرار والظالمين » (متى ٥ : ٤٥) • لا يعاملنا مطلقا بنفس المعاملة •••

وهكذا عاش المسيح وسط الناس ••• « يجول يصنع خيرا » (أع ١٠ : ٣٨) « يكرز ببشارة الملكوت ، ويشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب » (متى ٤ : ٢٣) • من

من الناس لم يأخذ من محبة المسيح ؟! الكل أخذوا ...
حتى الذين رفضوه ... حتى الذين صاحوا قائلين « اصلبه اصلبه » ...

لو كان الرب قاسيا ، لكان لنا عذر في تركه . أما والهنا طيب وحنون ، لذلك نحن ملامون في جحد محبته .

لو كان السيد المسيح عنيفا كايليا الذى قال « تنزل نار من السماء وتأكل الخمسين » فنزلت وأكلتهم (٢ مل ١ : ٢ ـ ١٢) لو قال كايليا « لا يكون مطر ولا طل على الأرض الا عند قولى » (١ مل ١٧ : ١) ... لو كان جبارا عنيفا من هذا النوع ، ربما كان البعض يخافه ويرتعش منه ... أما المسيح الطيب ، فكان على عكس ذلك كله « وديعا ومتواضع القلب » (متى ١١ : ٢٩) . « قصبة مرضوضة لا يقصف ، وفتيلة مدخنة لا يطفىء » (متى ١٢ : ٢٠) .

كان نصيرا للضعفاء ،عطوفا على المرذولين والمنبوذين ..

يرى أن السامرة بلدة مكروهة وخاطئة ، فيذهب الى هناك . يرفضونه ، فيذهب اليهم مرة أخرى ... يقال ان السامريين هم شعب منبوذ لا يعامله اليهود ، فيضرب لهم مثل السامرى الصالح (لو ١٠ : ٣٠ـ٣٧) ويريهم كيف أن السامرى يمكن أن يكون أفضل من الكاهن واللاوى ، أحن قلبا ، وأكثر رأفة ...

يرى أن العشارين محتقرين من الناس ، فيحضر ولائمهم، ويدعو متى العشار ويجعله واحدا من الاثنى عشر (متى ٩ : ٩) • ويرى زكا رئيس العشـارين متسـلقا على شجرة ، فيترك كل الناس ، ويقف منتظرا زكا ، ويقول له « ينبغى أن أمكث اليوم فى بيتك ••• اليوم حصـل خلاص لهـذا البيت ، اذ هو أيضا ابن لابراهيم » (لو ١٩ : ٥ ، ٩) •

على ان الناس القساة لم يمجدوا الرب فى محبته ، بل على العكس انتقدوه وتذمروا عليه قائلين « انه دخل ليبيت عند رجل خاطئ » (لو ١٩ : ٧) • وظل السيد المسيح على محبته لهؤلاء الخطـاة على الرغم من تذمر الفريسـيين المتكبرين • بل ضرب لهم مثلا أظهر فيه كيف أن العشار كان أفضل من الفريسى ، العشار فى توبته وانسحاقه ، كان أفضل من الفريسى فى تباهيه وانتفاخه •

(لو ١٨ : ٩ ـ ١٤)

وبالمثل أشفق على تلك المرأة الخاطئة التى بلات قدميه بدموعها ، غير مبال بانتقاد سمعان الفريسى الذى شك فيه قائلا فى قلبه « لو كان هذا الانسان نبيا ، لعلم من هذه المرأة وما حالها ، انها لخاطئـة » (لو ٧ : ٣٩) • بل على العكس شرح لذلك الفريسى ان تلك المرأة كانت أفضل منه فى محبتها وفى توبتها ، وانها ـ هى والفريسى ـ مديونان معا ، وليس لهما ما يوفيان ••• والله قد سامحهما معا •••

وبنفس القلب الشفوق الحنون الطيب أشفق **على المرأة** الزانية التى ضبطت فى ذات الفعل ، ونجاها من الذين يريدون رجمها ، وقال لها « أين هم المشتكون عليك ؟ **أما** دانك أحد ... ولا أنا أدينك . اذهبى ولا تخطئى أيضا » . (يو ٨ : ١١)

ما أعجب هذه الطيبة ، وهذا العطف ، وما أعجب هذا القلب القدوس الكامل الذى يظهر حنانه على خاطئة ضبطت فى ذات الفعل !! حقا ليس لك شبيه يا رب بين الالهة ...

فبماذا قوبل الرب فى كل حنوه وفى كل محبته ؟

لقد قوبل بالشتائم واللعنات ، وبالاضطهادات المريرة وعاش رجل أوجاع ومختبر الحزن



قالوا له « أليس حسنا قلنا انك سامرى وبك شيطان » (يو ٨ : ٤٨) . يا للعجب أن يقال عن رب المجد ان به شيطانا . الله الذى يخرج الشياطين ويطردهم ، يقولون له « بك شيطان !! ويظن المجدفون بهذا أنهم «حسنا قالوا» . **لذلك لا تتعب يا أخى ان قيلت عنك كلمة رديئة ربما تكون أقل من هذه ، فالمسيح نفسه قيل له « انك سامرى وبك شيطان » !!** والعجيب أن الرب سمع هذه الاهانة ورد بهدوء

عجيب وبدون انفعال ... ما هذا يا رب ؟! قل أن تنزل نار من السماء وتفنيهم . هذا جنس لا تنفع معه الطيبة . اضرب ضربتك فيوقروك ... وكأن الرب يجيب : ليس هذا هو أسلوبى ... سأتركهم الآن فى حدتهم ، وبعد حين سيعقلون ويتوبون ، وينظرون الى الذى طعنوه وجرحوه ، ويندمون ...

ما أكثر ما احتمل ...

بل ان كل معجزة كان يصنعها ، كانوا يحاولون أن يغطوا مجدها بشتائمهم ... وباتهاماتهم .

كان يخرج الشياطين من المصروعين ، فيقولون « ببعلزبول رئيس الشياطين يخرج الشياطين » (متى ١٢ : ٢٤) !! كما لو كان الرب من جند الشيطان !!

ويفتح الرب عينى المولود أعمى ، المعجزة التى لم يحدث لها مثيل من قبل . فبدلا من أن يؤمن أولئك المعاندون ، نراهم يقولون عن المسيح « هذا الانسان ليس من الله » . ويقابلون الأعمى الذى أبصر ، ويضغطون عليه قائلين « اعط مجدا لله . نحن نعلم أن هذا الانسان خاطىء ... » (يو ٩ : ١٦ ، ٢٤) . فلما دافع الأعمى المبصر عن المسيح « شتموه قائلين أنت تلميذ ذاك » ، كما لو كانت التلمذه للمسيح تهمة وعارا .

يا للعجب ! يوصف الرب بأنه سامرى ، وبه شيطان ، وبرئيس الشياطين يخرج الشياطين • ويوصف بأنه خاطىء وبأنه ليس من الله ، وبأن التلمذة له عار ••• وماذا أيضا

قالوا عنه أيضا انه كاسر للسبت (يو ٩ : ١٦) •

وقالوا انه « أكول وشريب خمر » (لو ٧ : ٢٤) •

وقالوا انه « محب للعشارين والخطاة » (متى ١١ : ١٩) •

وماذا قالوا عنه أيضا ؟

قالوا عنه أيضا انه « مجدف » ، « يتكلم بتجاديف » (متى ٩ : ٣) رفعوا حجارة ليرجموه (يو ٨ : ٥٩) محاولين رجمه أكثر من مرة (يو ١٠ : ٣١) • وعللوا محاولتهم لرجمه بقولهم له « لسنا نرجمك لأجل عمل حسن ، بل لأجل تجديف » (يو ١٠ : ٣٣) • وعندما حكم عليه رئيس الكهنة بحكم الموت ، كان لهذا السبب عينه ، تهمة التجديف !! مزق رئيس الكهنة ثيابه قائلا « قد جدف • ما حاجتنا بعد الى شهود ، قد سمعتم تجديفه » (متى ٢٦ : ٦٥) • انه مذهل حقا أن رئيس الايمان ومكمله ، والمعلم الصالح المذخرة فيه كل كنوز العلم والمعرفة ، يدعى مجدفا !! وهو « حكمة الله وقوة الله » (١ كو ١ : ٢٤) •••

واتهموه أيضا بتهم سياسية ، فقالوا انه ضد قيصر

واتهموه أيضا بأنه « يهيج الشعب » وبأنه « يفسد الأمة » (لو ٢٣ : ٥ ، ٢)

هؤلاء الذين أرادوا المسيح ملكا عليهم يخلصهم من حكم قيصر ، بل أرادوا أن يختطفوه ليجعلوه ملكا (يو ٦ : ١٥)، هؤلاء لما رفض المسيح الملك ، لأن مملكته ليست من هذا العالم (يو ١٨ : ٣٦) ، ولأنه يريد مملكة روحية في قلوب الناس وليس مملكة أرضية ، حينئذ اتهموه بأنه ضد قيصر « وابتدأوا يشتكون عليه قائلين : اننا وجدنا هذا يفسد الأمة ، ويمنع أن تعطى جزية لقيصر ، قائلا انه هو مسيح ملك » (لو ٢٣ : ٢) !! يا للعجب ، يقولون هذه التهمة ولا يخجلون من عبارته المشهورة « اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » (مر ١٢ : ١٧) ... **واذا بهؤلاء الثائرين على قيصر ، الطالبين ملكا يخلصهم منه ، يتمسحون الآن فيه ، متملقين اياه في صغر نفس ، بالدس والوقيعة ، مقدمين المسيح كمتهم بهذه التهمة !! وصمت المسيح لأنه « حمل خطايانا » ...**

عجبا أن هؤلاء الخائنين الجاحدين ، يدافعون الآن عن قيصر الذى أذلهم ، ويلتمسون رضا ذاك الذى خلط دمهم بذبائحهم (لو ١٣ : ١) !! ويرفضون أن يدعى المسيح «ملك اليهود» كما كتب بيلاطس (يو ١٩ : ٢١) . ويصرخون قائلين « ليس لنا ملك الا قيصر » !! (يو ١٩ : ١٥) ...

ولم يكتفوا بتهمة التجديف ، وبالتهمة السياسية ، بل أيضا ..

قالوا انه مضل ، حتى بعد موته على الصليب ، لأجلهم ! ولأجل العالم كله . فذهبوا الى بيلاطس وقالوا له « ياسيد قد تذكرنا أن ذلك المضل قال بعد وهو حي انى بعد ثلاثة أيام أقوم . فمر بضبط القبر الى اليوم الثالث ، لئلا ياتى تلاميذه ليلا ويسرقوه ، ويقولوا للشعب انه قام من الأموات. فتكون الضلالة الأخيرة أشر من الأولى » (متى ٢٧ : ٦٣ ، ٦٤) . وهكذا وصفوه بأنه مضل ، وان تلاميذه أيضا سيقودون الشعب الى ضلالة أشر ...

هذا هو المسيح الذى عاش محتقرا ومخذولا من الناس، الذى أحصى مع الأثمة (أش ٥٣ : ١٢) .

حقا ان السيد المسيح لم يقابل بحب مثل حبه . حتى تعجب من ذلك وقال « ابغضونى بلا سبب » (مز ٦٩ : ٤) « رفضونى أنا الحبيب مثل الميت المرذول » .

ومن هو هذا الذى رفضوه ؟!

هذا الذى « كل شيء به كان ، وبغيره لم يكن شيء مما كان » (يو ١ : ٣) . هذا المحب الذى سفك دمه عنهم ، الراعى الصالح الذى بذل نفسه عن الخراف (يو ١٠ : ١٠)

المسيح الطيب الحنون ، الرفيق الشفيق ، الهادىء الوديع ، الذى « لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته » (متى ١٢ : ١٩) .

اعداؤه رفضوه ، وأحباؤه تركوه وحده ...



نغض النظر عن يهوذا الذى أكل خبزه ورفع عليه عقبه (مز ٤١ : ٩) • ونتكلم عن باقى أحبائه الذين تركوه وحده ••• هؤلاء الذين تحقق فيهم قوله « هوذا تأتى ساعة ـ وقد أتت الآن ـ تتفرقون فيها كل واحد الى خاصته ، وتتركوننى وحدى ••• » (يو ١٦ : ٣٢) • من كان يظن أن الأحد عشر القديسين يتركونه أيضا وحده !! ولكن هذا هو الذى حدث **فى بستان جثسيمانى** ، فى أشد أوقاته صراعا عنا ، تركه أعمدة تلاميذه ، أعنى الثلاثة الكبار بطرس ويعقوب ويوحنا • هؤلاء الذين قال لهم « امكثوا ههنا واسهروا معى » (متى ٢٦ : ٣٨) • فناموا وتركوه ، ومع أنه عاتبهم أكثر من مرة قائلا « أما قدرتم أن تسهروا معى ساعة واحدة » الا أنه حتى فى تلك الساعة الحرجة « كانت أعينهم ثقيلة » (متى ٢٦ : ٤٣)

وعندما قبض عليه نقرأ فى الانجيل عبارة مؤلمة يقول فيها الوحى « حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا » •
(متى ٢٦ : ٥٦)

وهكذا ضرب الراعى فتبددت الرعية (مر ١٤ : ٢٧) واستطاع الشيطان أن يغربلهم كالحنطة كما سبق المسيح فقال لهم (لو ٢٢ : ٣١) ولكن هؤلاء الذين هربوا وتركوه، لم يتركهم المسيح أيضا ، فقال لبطرس « طلبت من أجلك لئلا يفنى ايمانك » (لو ٢٢ : ٣١) •

ولم يغضب المسـيح او يحزن بسبب أن تلاميذه تركوه وهربوا • بل هو أيضا أراد لهم أن يمضوا حفظا على سلامتهم لكى لا يصيبهم ضرر وقتذاك بسببه • فليفعل الأعداء به ما يشاءون ، أما تلاميذه فليظلوا سالمين ، وهكذا قال للجند الذين أتوا للقبض عليه : أنا هو • فان كنتم تطلبوننى ، دعوا هـؤلاء يذهبون • ليتم القـول الذى قـاله ان الـذين أعطيتنى لم أهلك منهم أحدا (يو ١٨ : ٨ ، ٩) •

وعندما وقف المسيح للمحاكمة ، لم يقف معه أحد •••
لم يدافع عنه أحد ، وهو الذى دافع عن أشر الخطاة ••• لم يوجد شجاع واحد يقول فيه كلمة حق ، ولم يوجد شجاع واحد يحتج على شهادات الزور ••• وقبل المسيح هذا الظلم ولم يدافع عن نفسه ، وفى فمه نبوءة اشعياء النبى عنه « قد دست المعصرة وحدى ، ومن الشعوب لم يكن معى أحد » •
(أش ٦٣ : ٣)

والمؤلم أن تلاميذه لم يتركوه فحسب ، بل قال عنهم : كلكم تشكون فى هذه الليلة (مر ١٤ : ٢٧) •

مـا أقسى على القلب المحب أن يشك فيه محبوه ، ومحبوه كلهم ، وأن يجرح فى بيت أحبائه(زك ١٣ : ٦) ما أقسى هذا من يستطيع أن يحتمل مثل هذا •••

على أنهم لم يشكوا فيه فى تلك الليلة وحدها ، بل بعد

القيامة أيضا . فلما بشرتهم مريم المجدلية أنه قام ، « ولما سمعوا انه حي وقد نظرته ، لم يصدقوا » (مر ١٦ : ١١) .
ولما ظهر لتلميذى عمواس ، وذهب هذان وأخبرا الرسل « لم يصدقوا ولا هذين » (مر ١٦ : ١٣) . ولما سمعوا نفس البشارة من النسوة القديسات « تراءى كلامهن لهم كالهذيان ولم يصدقوهن » (لو ٢٤ : ١١) . بل لما ظهر لهم الرب نفسه لم يصدقوا « وجزعوا وخافوا وظنوا أنهم نظروا روحا » (لو ٢٤ : ٣٧) .

ووصلت الشكوك أيضا الى مريم المجدلية المحبوبة التى ظهر لها أولا وكلمها وعهد اليها بتبشير اخوته، فعادت ونادت بنفس الشائعة التى نشرها كهنة اليهود ، وقالت للملاكين وللرسل « أخذوا سيدى ولست أعلم أين وضعوه » (يو ٢٠ : ١٣ ، ٢) . بل قالت ذلك للمسيح نفسه عندما ظنته البستانى ... وكانت عبارة مؤلمة لقلبه المحب ...

أشد الآلام فى الحب ، هى شكوك المحبوب ... وقد جاز المسيح هذا الألم أيضا ... وتألم ليس لأجل نفسه اذ شكوا فيه وفى قيامته ، وانما تألم بالحرى لأجلهم لأن الشك يهلكهم ...

وهكذا فى الوحدة أيضا ، لم يتألم من أجل نفسه ، وانما من أجل أحبائه . ان تركهم له لا يؤذيه هو ، وانما

يتسبب فى هلاكهم هم • أما عن نفسه فقد قال « ولكننى لست وحدى لأن الآب معى » •••

وبهذا نجد لونا آخر من آلام المسـيح على الأرض وهى **آلامه بسبب الخطية وانتشارها على الأرض واهلاكها للناس ••** ولهـذا « لمـا رأى الجموع تحنن عليهـم ، اذ كانوا منزعجين ومنطرحين كغنم لا راعى لها » (متى ٩ : ٣) • وبهذا القلب بكى على أورشليم لأنها لا تعرف ما هو لسلامها • وفى ذلك يقول القديس لوقا الانجيلى « وفيما هو يقترب نظر الى المدينة وبكى عليها قائلا « ••• ولا يتركون فيك حجرا على حجر ، لأنك لم تعرفى زمان افتقادك » (لو ١٩ : ٤١ ــ ٤٤) •

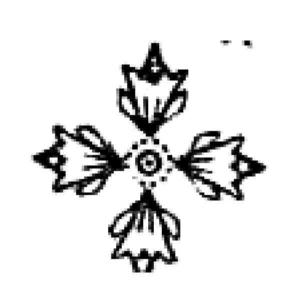
انـنا نقف منذهلين أمام دموع الـرب ، يعقد الصمت لساننا • أى حب هذا ، فى قلب الله نحو الخطاة ••• ما هذه العاطفة العجيبة التى تعصر العينين فتهطلان دمعا ••• كل دمعة من هذه ، هى أغلى من الكون كله ، بكل مجده •••

مشويا بالنار :

ان آلام السيد المسيح شبهت بالنار ، لذلك قيل عن خروف الفصح الذى يرمز الى ذبيحة السيد المسيح انه يكون « مشويا بالنار » (خر ١٢ : ٨) • هذه النار هنا هى آلام الصليب •••

ولكن لما كانت آلام المسيح ليست قاصرة على الصليب فحسب ، وانما له آلام أخرى فى حياته بالجسد لذلك نرى عبارة (مشويا بالنار) تقال عن تقدمة الدقيق التى ترمز الى تجسد الرب • وفى ذلك قال الرب لموسى النبى فى سفر اللاويين « وان قربت تقدمة باكورات للرب ، ففريكا مشويا بالنار » (لا ٢ : ١٤)

ان الرب شبه نفسه بحبة حنطة • وقال ان لم تقع حبة الحنطة فى الأرض وتمت، فهى تبقى وحدها • ولكن ان ماتت تأتى بثمر كثير » (يو ١٢ : ٢٤) • أما هنا فحبة الحنطة مشوية بالنار •• انها آلام هذا الزمان الحاضر ، التى اجتازها الرب عنا • لقد كان « مشويا بالنار » على الأرض ، كما كان « مشويا بالنار » على الصليب •••



من ألحان باراباس



أنت لم تنصت الى الحية بل ... أخطأت أمى وأصغت لنداها
أنت لم تقطف من الجنة بل ... قطفت أمى حراما من جناها
أنت قدوس طهور بينما ... أنا من شرد فى الشر وتاها
أنت عال فى سماء انما ... أنا ابن الأرض أصلى من ثراها
أنت رب واله وأنا ... عبدك الآثم من يعصى الالها
فلماذا أنت مصلوب هنا ... وأنا الخاطىء حر أتباهى
حكمة يا رب لا أدركها ... وحنان قد تسامى وتناهى

عجبا يا رب ماذا قد جرى
وعلام كرههم فيك علاما

عشت يا مولاى حينا بينهم
تنزع البغضاء منهم والخصاما

كنت يا قدوس قلبا مشفقا
فملأت الكون حبا وسلاما

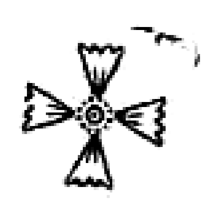
كنت رجلا لكسيح ويدا
لأشل وأبا بين اليتامى

قد أقمت الميت والأعمى رأى
والطريح المقعد اشتد وقاما

فلماذا قامت الدنيا على
شخصك الحانى وزادت فى أذاها

ولماذا أنت مصلوب هنا
وأنا الخاطىء حر أتباهى

حكمة يا رب لا أدركها
وحنان قد تسامى وتناهى



أنا أولى منك بالصلب أنا
صاحب العار الذى لوث نفسه

أنا من ضيع ويحى يومه
فى ضلال مثلما ضيع أمسه

أنا من يسعى الى الموت وفى
نشوة أو سكرة يحفر رمسه

أنا ظمآن تولى مسرعا
يرتجى الحية أن تملأ كأسه

أيها المصلوب يامن قد رأى
كل من فى العالم الناكر قدسه

كلما طافت بك العين انزوت
نفسى الخجلى يغطيها بكاها

فلماذا أنت مصلوب هنا
وأنا الخاطىء حر أتباهى

حكمة يا رب لا أدركها
وحنان قد تسامى وتناهى

+ + +

— ٢ —

كلمات المسيح على الصليب

١ ـ يا ابتاه اغفر لهم ، لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون

٢ ـ اليوم تكون معى فى الفردوس

٣ ـ هوذا ابنك ... هوذا أمك

٤ ـ الهى الهى لماذا تركتنى

٥ ـ أنا عطشان

٦ ـ قد أكمل

٧ ـ يا أبتاه ، فى يديك استودع روحى

مقدمة

انها سبع كلمات ، لفظ بها الرب على الصليب ، فى آلامه ... وكانت كلها حياة .. لنا

لم يتكلم أثناء المحاكمات ، ولا أثناء التعذيب والاستهزاء الا نادرا . كان يغلب عليه الصمت ... لقد تنازل عن حقه الخاص ، وكرامته الخاصة . « فالمحبة لا تطلب ما لنفسها » (١ كو ١٣ : ٥)

أما على الصليب ، فتكلم ، حين وجب الكلام . تكلم من أجلنا ، لنفعنا وخلاصنا . وكان لكل كلمة هدف ومعنى . ولكل كلمة تأثير..وسندخل فى أعماق كل هذا بعد حين.. على أننا نلاحظ على كلماته بوجه عام عدة ملاحظات ، منها:

نلاحظ فى كلمات المسيح على الصليب عنصر العطاء ..

عجيب أنه ـ وهو على الصليب ـ فى مظهر الضعف والانهزام كان يعطى ... أعطى لصالبيه المغفرة ، وأعطى للص اليمين الفردوس ، وأعطى للعذراء ابنا روحيا ورعاية واهتماما ، وأعطى ليوحنا الحبيب بركة العذراء فى بيته ... وأعطى للآب ثمن العدل الالهى الذى يتطلبه ، وأعطى للبشرية كفارة

وفداءا ٠٠ وأعطانا أيضا اطمئنانا على تمام عمل الخلاص٠٠٠ أعطى لكل أحد ، وهو الذى لم يعطه أحد شيئا ٠٠٠ قدم للبشر كل هذا ، فى الوقت الذى لم يقدموا له فيه سوى مرارة وخل ٠٠٠

وكلمات المسيح السبع ، كان أولها وآخرها موجها الى الآب ٠ كانت أول كلمة موجهة الى الآب فى قوله « يا أبتاه ، اغفر لهم » ٠ وآخر كلمة موجهة الى الله الآب فى قوله «ياأبتاه فى يديك استودع روحى » ٠ وبين الأول والآخر كانت هناك كلمتان أيضا موجهتين الى الله الآب : احداهما « الهى الهى لماذا تركتنى » ٠ والثانية « قد أكمل » ٠ ومع انها قد تكون اعلانا عاما ، الا أنها تحمل خطابا الى الآب أى « العمل الذى أعطيتنى لأعمله قد أكملته » ٠٠٠

غالبية كلمات المسيح اذن أو نصفها ، كانت موجهة الى الآب ٠ وكانت تحمل طمأنينة للبشر ٠

ونلاحظ أنه فى كلامه مع الآب استعمل التعبيرين : « يا أبتاه » و « الهى » : فى عبارة « يا أبتاه » رد على الذين كانوا يتحدونه قائلين « ان كنت ابن الله ٠٠٠ انزل من على الصليب » ٠ فأثبت انه ابن الله ٠ ولكنه لم ينزل من على الصليب ، وانما رفع الصليب الى علو السماء ٠٠٠

فى عبارة يا أبتاه أثبت لاهوته ، وفى عبارة « الهى » أثبت ناسوته ٠ ومن كليهما معا أعلن أنه الاله المتأنس ،

الله الذى ظهر فى الجسد (١ تى ٣ : ١٦) . فى عبارة « يا أبتاه » شجب الهرطقة الأريوسية التى أنكرت لاهوته فى القرن الرابع . وفى عبارة «الهى» شجب هرطقة أوطيخا الذى أنكر ناسوت المسيح فى القرن الخامس ... فى الأولى تكلم كأبن الله ، وفى الثانية تكلم كأبن الانسان ، كنائب عن البشر ...

ولم يتكلم على الصليب مع الآب فقط ، وانما مع البشر أيضا ... مع القديسين ممثلين فى السيدة العذراء وفى يوحنا الرسول ... ومع الأشرار التائبين ممثلين فى اللص اليمين ..

وكانت كلماته كلمات بركة ونعمة...لقد كانت ساعة للخلاص . وكانت تليق بها البركة. لذلك تكلم بكلام المغفرة والخلاص والفردوس ، وبكلام الهبة والنعمة...وعلى الصليب لم يلعن أحدا ، ولم يعاقب أحدا ، على الرغم من كل الذى وقع عليه ... انه لم يأت ليهلك العالم ، بل ليخلص العالم.

ونلاحظ فى كلماته على الصليب ترتيبا خاصا لا تخفى حكمته ... غيره أولا ثم نفسه . ونفسه من أجل غيره . بدأ أولا بطلب المغفرة للناس ، لأنه على الصليب بدأت فاعلية دمه المقدس فى الغفران ... واذ فتح باب المغفرة ، جاءت الكلمة الثانية الخاصة بفتح الفردوس . لأنه اذ يدفع الدم ثمنا للمغفرة يمكن فتح الفردوس ...

نلاحظ أيضا أن السيدالمسيح ذكر أعداءه أولا ثم أحباءه. كلامه الأول خاص بصالبيه ، ثم باللص ، ثم بالعذراء ويوحنا ...

وفى حديثه مع الله الآب ، كلمه أولا كأب ثم كاله ... أولا كالابن المحبوب الكائن فى حضن الآب منذ الأزل (يو ١ : ١٨) ، ثم كابن الانسان المولود فى ملء الزمان ...

كلماته الثلاث الأولى كانت خاصة بالمغفرة والرعاية . وكلماته الأربع الأخيرة كانت اعلانا لعمل الفداء واتمامه :

فعبارة « الهى الهى لماذا تركتنى » تعنى أن الآب قد تركه ليدفع ثمن الفداء وتعنى آلامه النفسية من جهة تحمل غضب الله على خطايا البشر . وعبارة « أنا عطشان » تعنى اعلانا للآلام الجسدية من أجل البشر . وكلا العبارتين تعنيان أنه يدفع الثمن . وعبارة « قد أكمل » طمأنة أن الثمن قد دفع . وعبارة « فى يديك استودع روحى » تعنى الموت ثمن الخطية ، وبه يكون قد تم الخلاص ... اذن فهذه العبارات الأربع الأخيرة تحمل طمأنينة للبشر من جهة فدائهم ...

نلاحظ أن الكلمتين الأخيرتين فيهما هتاف الفرح والانتصار ...

كما أعلن الرب ألمه الذى به تم الفداء . أعلن أيضافرحه باتمام الفداء . فعبارة « قد أكمل » تحمل معنى أن كل شىء خاص بالفداء قد تم . لقد فرح الرب باتمام عمله ولميسمح

لشيء أن يعوقه . ونفس الكلام نقوله عن عبارة « فى يديك استودع روحى » . بهاتين العبارتين أعلن هزيمة الشيطان. لقد انتهت المعركة . واستطاع الرب بالموت أن يبيد سلطان الموت ... وهتف هتاف الفرح والانتصار .

كل هذا يعطينا فكرة أن المسيح على الصليب ، كان يعمل ، لأجلنا ... ليس فقط عمل الفداء . وانما كان على الصليب - كعهده - يصنع خيرا ...

كان معلما ، وكان يعلن اعلانات هامة لأجل الخلاص ...

فى كلمته الأولى أعطانا تعليماً عملياً عن التسامح والمغفرة ومحبة الأعداء ... وفى كلمته الأخيرة « فى يديك استودع روحى » ، اعطانا تعليما عن خلود النفس ، وانتقال الروح البارة بعد الموت الى الله .

وفى كلمته الثالثة أعطانا تعليما عن الرعاية الحقة ، وعن التنفيذ الصادق العملى للوصية الخامسة ... باكرامه لأمه.

ما أكثر التعاليم والتأملات التى نجدها فى هذه الكلمات السبع ، التى يرمز عددها الى الكمال ... فلننتقل الآن اليها ... وندخل الى أعماقها واحدة فواحدة

الكلمة الأولى

يا أبتاه اغفر لهم
لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون (لوقا ٢٣:٣٤)

المسيح الهنا الحنون ـ وهو فى عمق الآلام على الصليب ـ كان منشغلا بغيره لا بنفسه • لم يذكر آلامه ولا تعبه ولا جراحاته • لم يأبه بآلام السياط على ظهره ، ولا بارتكاز المسامير فى يديه وقدميه ، ولا بوخز الشوك فى جبينه ورأسه، ولا بجسده المرضض المنهك ••• وانما ترك كل ذلك جانبا ، وكان كل ما يشغله هو محبته للبشر وأول ما فكر ، فكر فى انقاذ كارهيه وصالبيه ••• وهكذا كانت أول كلمة قالها على الصليب هى « يا أبتاه اغفر لهم ، لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون » (لو ٢٣ : ٣٤) •••

وقد اهتم الرب بأعدائه أولا ، قبل أحبائه وقبل نفسه ••• فغفر أولا لصالبيه ثم غفر للص الذى عيره أولا وآمن أخيرا • ثم أبدى اهتمامه بأمه • وبعد كل ذلك تكلم عن نفسه •••

« يا أبتاه اغفر لهم » قالها وهو فى منتهى الألم الجسمانى ••• كان حقا فى عمق المقاساة من هؤلاء الذين

يطلب لهم الغفران !٠٠ ولكن محبته لهم ، كانت أكثر من عداوتهم له ، عداوتهم التى لا توصف ، من عمق بشاعتها٠٠٠

ومع ذلك لم يطلب لهم الغفران فقط ، وانما أيضا التمس لهم عذرا !٠٠ هؤلاء الذين كانوا لا يجسرون أن يفكروا فى عذر لأنفسهم ، والذين صاحوا فى جرأة مخبولة « دمه علينا وعلى أولادنا » (متى ٢٧: ١٥) ، هؤلاء استطاع المصلوب المجروح منهم أن يوجد لهم عذرا ، فقال « لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون » ٠٠٠ ما أعجب الرب فى محبته : انه لم يصب عليهم اللعنات ، ولم يطلب النقمة منهم ٠ بل أيضا لم يصمت ويأخذ منهم موقفا سلبيا ٠٠٠ وانما كان حبه ايجابيا من ناحيتهم ، فطلب لهم المغفرة ، وقدم عنهم عذرا ، مدافعا عنهم أمام الآب السماوى ، معلنا أن خطيئتهم هى مجرد خطية جهل ٠٠٠

اننا نحن البشر نقول ان فعلتهم هى مجموعة من الخطايا البشعة ٠٠٠ انها خطايا حسد وغيرة وكراهية ودس ووقيعة من الرؤساء الدينيين ، وخطايا اندفاع ونكران جميل من الشعب الجاحد ، وخطايا قسوة واستهزاء وشتائم واعتداء واهانة من الجند وخدام الكهنة ، وخطايا جبن وظلم ولا مبالاة من بيلاطس ٠ وفوق كل ذلك هى خطية قتل ، وخطية تعذيب، وخطايا كذب وتلفيق فى المحاكمة ٠٠٠ أما المصلوب الحنون الطيب فلم يذكر سوى أنها خطية جهل ، « لأنهم لا يدرون

ماذا يفعلون » !٠٠ ما أعجب طيبة قلبك أيها المحبوب المصلوب ان أعماق هذه الطيبة هي فوق ادراكنا ٠٠٠

ان السيد المسيح فى غفرانه لصالبيه ، قد قدم مثالا عمليا لتنفيذ وصاياه ٠٠٠ لقد قال من قبل « أحبوا أعداءكم، ٠٠٠ أحسنوا الى مبغضيكم ، وصلوا لأجل الذين يسيئون اليكم » ٠ وها هو ذا ينفذ بنفسه ما سبق أن أوصى به الناس ٠ أن الرب لا يعطى وصايا للآخرين ، ولا ينفذها بنفسه ٠ لقد نفذ هذه الوصية « محبة الأعداء » ، ونفذها عمليا ، فى عمق وفى مثالية عجيبة ٠٠٠ فغفر لصالبيه ومضطهديه وللمسيئين اليه ٠٠٠

وأنت أيها الأخ المبارك ، ما هو موقفك من هذه الآية « يا أبتاه اغفر لهم » ؟٠٠٠ يا ليتك عندما تسمع هذه العبارة فى يوم الجمعة الكبيرة ، وعندما تتذكرها فى أى وقت ، تقول فى صدق : « وأنا أيضا يارب ، سأفعل مثلك : كل الذين أبغضونى وأغضبونى ، كل الذين أتعبونى واضطهدونى ، كل الذين ضايقونى وأساءوا الى ، اغفر لهم لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون » ٠٠٠ وهكذا يا أخي تشترك مع المسيح فى عمله وفى حبه ٠٠٠

ماذا تستفيد أنت ان كان المسيح قد غفر لأعدائه وأنت لم تغفر ؟! ماذا تستفيد ان كان المسيح قد أحب أعداءه بينما

أنت لا تحب أعداءك ، ولا تسامحهم ؟! ماذا تستفيد ؟... اذن فأنت لم تشترك مع المسيح فى عمله ، ولم تسلك فى صفاته ...

اعلم اذن أن المسيح قد غفر لنا ، لكى نغفر نحن أيضا لغيرنا ، ونتمتع ببركة المغفرة ... التى تأتى الينا ، والتى تصدر منا ...

كلما نتذكر اساءات الناس الينا ، فلنقل نحن أيضا من أعماق أعماقنا « اغفر لهم ، لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون » . غير أننا عندما نقول هذا ، يختلف موقفنا عن موقف السيد المسيح : انه يقول : **يا أبتاه اغفر لهم ، لأنى قد دفعت ثمن خطيئتهم** . من أجل هذا لم يبق عليهم دين . أنا قد وفيت العدل الالهى ، وسددت كل ديونهم ، فاغفر لهم اذن . ها ذا أنا أموت عنهم . هو ذا أنا أموت عن الذين صلبونى ، وعن الذى يحبوننى ... وعندما أقول « اغفر لهم » لست أقصد هؤلاء فقط ، وانما كل الذين يحتمون فى دمى ... كل الخطاة الذين تابوا من آدم الى آخر الدهور ... اغفر لهم ، لأنى لهذا جئت (يو ١٢ : ٢٧) ...

واحد من هؤلاء الذين انطبقت عليهم عبارة « لا يدرون ماذا يفعلون » ، هو القديس العظيم الأنبا لونجينوس الجندى الذى طعن المسيح بالحربة ...هذا القديس تعيد له الكنيسة

المقدسة فى يومين : فى اليوم الثالث والعشرين من شهر أبيب ، وفى اليوم الخامس من شهر هاتور ... انه طعن المسيح بالحربة ، ولم يكن يدرى ماذا يفعل ، فغفر الرب له . ولم يكتف بهذا ، بل اقتاده اليه أيضا ، فآمن وبشر بالمسيحية فى بلاد كبادوكية ، ونال اكليل الشهادة على يد طيباريوس قيصر ، وأظهر الرب كرامته بمعجزات بعد موته ...

هناك قديس آخر تنطبق عليه عبارة « لا يدرون ماذا يفعلون » ، كان وحشا ضاريا فى محاربة المسيحيين وفى تعذيبهم وقتلهم . ان قلنا ان أكثر انسان اضطهد المسيحيين هو الامبراطور ديوقلديانوس ، فان هذا كان الساعد الأيمن لديوقلديانوس فى عملية التعذيب ... كان جبارا مرعبا ، ولم يوجد فى كل ولاة الامبراطورية الرومانية من هو أشد منه وأعنف ... كانوا يرسلون اليه كل من يتعب الولاة فى تعذيبه من المسيحيين ، فيعامله بقسوة وبفنون جديدة فى التعذيب لا تعرف للرحمة اسما ولا معنى ...

هذا الرجل هو القديس اريانوس والى انصنا (*) ، الذى سفك دماء عشرات الآلاف من المسيحيين ، بل قتلهم فى وحشية ، وهو لا يدرى ماذا يفعل ... وظل هكذا لا يدرى حتى جذبه المسيح اليه ، فآمن به ، واستشهد على اسمه فى

(*) هى حاليا قرية الشيخ عبادة مركز ملوى بمحافظة المنيا

اليوم الثامن من شهر برمهات على يد الامبراطور ديوقلديانوس وكتب اسمه فى السنكسار ، وأصبحت الكنيسة تحتفل بعيده مثل باقى القديسين العظماء ٠٠٠

شاول الطرسوسى كان أيضا واحدا من الذين لا يدرون ماذا يفعلون ٠٠٠ كان يقتحم الكنائس ويقتاد رجالا ونساءا الى السجن (أع ٨ : ٣) ٠٠٠ وقد اشترك فى اضطهاد القديس اسطفانوس رئيس الشمامسة وأول الشهداء (أع ٧ : ٥٨) ٠٠٠ وكان مرعبا ومخيفا ٠٠٠ ومع ذلك لم يكن يدرى ماذا يفعل ٠٠٠ وظل هكذا حتى ظهر له رب المجد فى الطريق الى دمشق ، ووجده اناءا مختارا ٠٠٠ واجتذبه اليه فآمن ، واعتمد ، وصار اسمه بولس الرسول ، وبشر باسم المسيح ، وتعب أكثر من جميع الرسل ، ووقعت عليه اضطهادات وأتعاب أكثر من جميعهم ، ونال اكليل الشهادة على يد الامبراطور نيرون، وأصبح عمودا من أعمدة المسيحية، ومنارة من مناراتها العالية المضيئة ٠٠٠ ترى ماذا كان سينتهى اليه مصير قديسنا بولس ، لولا قول المسيح الحنون « يا أبتاه اغفر لهم ، لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون » ٠٠٠

« يا أبتاه اغفر لهم » ٠ أنا لا اريد أن أنتقم من أحد ٠٠٠ لا أريد أن أعاملهم بالمثل ٠ ان بعضا من هؤلاء الذين صلبونى **أنا ماض لأعد لهم مكانا** ٠ ومتى أعددت لهم مكانا ، آتى وآخذهم الى ، حتى حيث أكون أنا يكونون هم أيضا (يو ١٤ : ٣)

على أن قول السيد المسيح « يا أبتاه اغفر لهم » ، لاتعنى انه غفر لجميع صالبيه على الاطلاق ، بلا استثناء٠٠٠فلا يمكن أن يتمتع بالمغفرة ـ من صالبيه وغير صالبيه ، الا من ينطبق عليهم شرطان جوهريان ، هما الايمان والتوبة ٠٠٠ لأنه بدون الايمان والتوبة ، لا يمكن أن ينال أحد خلاصا ولا مغفرة ٠٠٠

يا أبتاه اغفر لهم ٠ اغفر للذين يؤمنون ويتوبون ٠

لقد قال الكتاب « هكذا أحب الله العالم ، حتى بذل ابنه الوحيد » ٠٠٠ أحب العالم كله ، وبذل الابن لأجل العالم كله ٠ ولكن هل تمتع العالم كله بالخلاص ؟ كلا ، فخلاص المسيح لم ينله الا « كل من يؤمن به » ٠٠٠ لذلك قيل فى باقى الآية « لكى لا يهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية » (يو ٣ : ١٦) ٠ هذا هو شرط الايمان ٠٠٠ أما عن شرط التوبة فيقول عنه الرب « ان لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون » (لو ١٣ : ٣) ٠

وهكذا فان عبارة « اغفر لهم » ، لا تعنى المغفرة ليهود اليوم ٠٠٠ لأنهم ما يزالون باقين على يهوديتهم ، فى انكارهم للمسيح ، وفى انكارهم لبتولية العذراء ، وفى اعتقادهم أن يسوع الناصرى الذى ولد منذ ١٩٧٠ سنة كان ضالا ومضلا ، فاستحق أن يصلبه آباؤهم ٠ وبهذا يشتركون فى خطية آبائهم بموافقتهم لهم على ما فعلوه ٠٠٠ ويستحقون الدينونة ٠

أمـا ان تابوا وآمنوا ، وصاروا مسيحيين ، فان الرب يغفر لهم ، وعندئذ لا يدعون يهودا بعد ٠٠٠

ان السيد المسيح قد قدم خلاصـا للعالم كله ٠ ولكن لا يتمتع بهذا الخلاص سوى المؤمنين التائبين السائرين فى طرقه ، المتمتعين بعمل الروح القدس فى أسراره ٠

هـؤلاء المؤمنون التائبون ، اغفر لهم يا أبتـاه ٠٠٠ أما الباقون الذين أصروا على عنـادهم ، فهؤلاء قال لهم المسـيح « حيث أكون أنا ، لا تقدرون أنتمأن تأتوا » (يو ٧ : ٢٤) ٠ وقال لهم أيضا « ستطلبوننى وتموتون فى خطيتكم ٠٠٠ ان لم تؤمنوا انى أنا هو ، تموتون فى خطاياكم » ٠٠٠ ثلاث مرات فى الاصحاح الثامن من الانجيل لمعلمنا يوحنا الرسول يقول لهم «ان لم تؤمنوا بى ، تموتون فى خطاياكم» (يو٨: ٢١، ٢٤)

أما الذين يرى فيهم بارقة أمل ، ولو من بعيد ، فهؤلاء مهما أخطأوا اليه ، ومهما اضطهدوه ، ومهما طردوه ، فانه يظل يردد فى سمع الآب ، تلك العبارة الجميلة « يا أبتـاه اغفر لهم ، لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون » ٠

من بين هؤلاء الذين طردوه ورفضوا أن يدخل تخومهم ، أهل السامرة ٠ وتحمس تلميذاه يعقوب ويوحنا ، وطلبا اليه أن يأمر فتنزل نار من السـماء فتفنى هؤلاء الذين طردوه ٠ أما هـو فأجاب تلميذيه قائلا « لسـتما تعلمان من أى روح

أنتما • لأن ابن الانســان لم يأت ليهلك أنفس النــاس بل ليخلص » (لو ٩ : ٥٢ ـ ٥٦) • هذا ما قاله لتلميذيه • أما الآب • فلا شك أنه قال نفس العبارة « يا أبتاه اغفر لهم ، لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون » ••• وهكذا صبر عليهم حتى عرفوه ، فأحبوه ، وآمنوا به (يو ٤ : ٤٢) •

ان عبارة « يا أبتاه اغفر لهم » تحمل عمق الحب ، وعمق المغفرة • ولــكى تسبر أعمــاقها ، تصــورها بالنســـبة الى نفسك •••

قد تستطيع أن تغفــر لانسان أتعبك ••• أما أن يلفق انسان حولك تهما ، ويحكم عليك ظلما ، ويثير عليك الشعب والحكام ، ويهزأ بك ، ويجلدك ، ويعلقك على صليب ، ويدق المســامير فى يديك وقدميك ••• ثم بعــد ذلك ـ وأنت فى عمق الألم ـ تستطيع أن تغفــر له ، وتصلى لأجله ، وتدافع عنه ••• فهذا يحتاج الى حب فوق الطاقة ، وفوق العادة •••

كثيرون آمنوا بالمسيحية من أجل هذه العبارة وحدها•••

يا أبتاه اغفر لهم ••• لأنى من أجل هذا جئت ••• هذا هو العزاء الذى يفرح قلبى وســط كل آلام الصليب ، وكل آلام الهزء ، وكل آلام التخلى •••

انهم مغلوبون من خطاياهم ، مغلوبون من عمل ابليس فيهم ، ومغلوبون أيضـــا من ضعف ارادتهم ومن جهلهم

شعورى نحوهم هو شعور اشفاق ... لست أذكر ما يعملونه فى ، فالمحبة لا تطلب ما لنفسها ، انما اذكر أمامك حاجتهم الى المغفرة ...

اغفـر لهم ، لأنك بهذا تفرحني ، اذ أكون قـد تممت رسالتي وحققت هدفى ...

حقا ، لماذا تجسد المسيح ؟ أليس من أجل أن الآب يغفر لهؤلاء ؟... لماذا أخذ شكل العبد ، وصار فى الهيئة كانسان (فى ٢ : ٧) ؟ أليس لكى يغفر لهم ؟ ... لماذا حمل خطايانا؟ لماذا علق على خشبة ؟ كل هذا بلا شك لكى يغفر لهم ..

ان هذه العبارة هى بداية عهـد الغفران ، ليس الغفران الموعود به ، وانما الغفران المدفوع ثمنه ... انها اعلان بأن العدل الالهى قد استوفى حقه على الصليب ... انها صك ... انها حق المشترى الذى دفع الثمن ويريد أن يستتلم ... انه اشترانا بدمه ، وبقى أن يأخذنا معه ، لكى ندخل الفردوس معه ، ونتمتع بالملكوت معـه ، وحيث يكون هـو نكون نحن أيضـا ...

وكأنه بهذه العبـارة يقول للآب : ماذا تريد من هؤلاء ؟ ما هو دينك عليهم ؟ أليس هو الموت ، أجرة الخطية ؟ هو ذا أنا أموت عنهم . هو ذا أنا أوفى دينك عليهم . **أطلقهم** اذن من حكم الموت . انك تأخذ الآن حقك بالتمام ... وبعـد قليل سأقول لك « قد أكمل » . فاغفر لهم ...

ان السيد المسيح بهذه العبارة يعلن انتصاره على الشيطان. كل جهاد الشيطان كان فى ابعاد الناس عن الله ، وفى ابعادهم عن المغفـرة ، وفى عـرقلة طريق الخـلاص • أما عبـــارة « اغفـر لهم » فتعلن أن طريق الخلاص قـد فتح للنـاس ، واستطاع الرب المجروح لأجل معاصينا أن يرش دمه على الخيمة فيقدسها •••

لقد انتصرت محبته على كراهية الناس ، وانتصر تواضعه على كبرياء الشيطان •••

كانوا يقولون له ان كنت ابن الله انزل من على الصليب • أما هو فأعلن انه الابن بقوله « يا أبتاه » • ولكنه وهو الابن سيبقى على الصليب ، لـكى يغفـر لهم • ولو نزل من عـلى الصليب ما استطاع أن يقول ، اغفر لهم ••• الآن استطاعت ذبيحة الحب أن تؤدى عملها فى المغفرة •••

عبارة يا أبتاه اغفر لهم ، هى العبـارة التى كان يشتاق لسـماعها كل الراقدين عـلى رجاء من بدء الخليقـة كلهـا • ان كان هكذا قد أحب الرب صالبيه ومقاوميه وغفر لهم ، فكم تكون بالحرى محبته لأحبائه ومريديه ، وكم يكون عمق غفرانه وسمو مكافأته •••

انهـا عبـارة أذهلت كل الجنـود المحيطين بالصـليب • وأذهلت أيضـا اللص اليمين الذى توجه اليـه الرب بكلمته الثانية « اليوم تكون معى فى الفردوس » •••

الكلمة الثانية

الحق أقول لك
إنك اليوم تكون معي في الفردوس (لوقا ٢٣ : ٤٣)

أول انسان خاطبه الرب على الصليب ، كان هو هذا اللص ... لم يبدأ حياته بارا ، بل صحبته الخطية حتى الى الصليب . وكان وهو مصلوب يعير الرب ، مشتركا فى ذلك مع اللص الآخر (متى ٢٧ : ٤٣) ... ثم تغير فجأة ودخل الايمان بعنف الى قلبه ، فانقلب من معير الى مدافع ... ومن مستهزىء الى رجل صلاة وايمان .

كيف وصل الى هذا الايمان ، والى هذا التجديد ؟ كيف آمن بالرب ، والرب فى آلامه لا فى مجده ، فى استهزاء الناس به وليس فى سعيه اليهم طلبا للشفاء والبركة ؟

لعل مغفرة الرب لصالبيه ، أثرت فى اللص القاسى القلب هذا التأثير العميق . واذا بلطف الله يغلب قسوته... أو لعله تأثر من وجه المسيح نفسه ، من ملامحه ، ومن نظرته،

ومن حنان وعمق صـــوته · لعل الرب نظر اليه ، فأذاب قلبه ··· لسنا ندرى ···

أو لعل هذا اللص كان عنده استعداد داخلى للتوبة كان أرضـا صـالحة لم تجد بعد من يفلحهـا ، وينقيها من أشـواكها ، ويبذر فيها البذار الصـالحة ، فتنبت نباتا حسنا ···

لقد استطاع هذا اللص أن يصل الى المسيح مع أصحاب السـاعة الحادية عشرة ، أو فى السـاعة الثانية عشرة · **فصلى صلاة ، واستجيبت بأسرع مـا تكون الاستجابة ···** كثيرون كانتلهم صلوات طويلة ، بابتهالاتوطلبات وتضرعات وعرق ودموع ··· أما هذا اللص فبعبارة واحدة ، قصيرة ، مركزة ، عميقة ، اسـتطاع أن يحصـل على كل شىء ··· وأصبحت صـلاته هذه مصـدر تأملات لكثيرين ، ترددها الكنيسة كلها معه ، وقد تعلمتها من هذا اللص العجيب ···

هذا اللص هو الوحيد الذى أجابه المسيح بسرعة ، بينما غيره كثيرون لم يرد عليهم الرب بكلمة واحدة ···

تصوروا أن السيد المسيح لم يرد عـلى كثيرين طول مدة المحاكمة والتعـذيب والصلب ··· « لم يفتح فاه ، كشـاة تساق الى الذبح · وكنعجة صامتة أمام جازيها ، فلم يفتح فاه » (أش ٥٣ : ٧) ··· لم يرد على قيافا رئيس الكهنـة الا بعـد أن اسـتحلفه بالله الحى (متى ٢٦ : ٦٣ ، ٦٤) ·

وبيلاطس الوالى الذى حاكمه كان متعجبا جدا من صمته (متى ٢٧ : ١٤) . كثيرون استهزأوا به ، فلم يرد عليهم . شتموه ، فلم يرد عليهم . تحدوه وقالوا له « ان كنت ابن الله انزل من على الصليب » (متى ٢٧ : ٤٠) فلم يرد عليهم كذلك . اللص اليسار نفسه المصلوب الى جواره كان يعيره ويتحداه قائلا « ان كنت أنت المسيح ، فخلص نفسك وايانا » (لو ٢٣ : ٣٩) . فلم يرد على هذا أيضا .

أما هذا اللص اليمين فما أن قال له «اذكرنى يا رب متى جئت فى ملكوتك » حتى تلقى الجواب بسرعة « الحق أقول لك انك اليوم تكون معى فى الفردوس » (لو ٢٣ : ٤٢ ـ ٤٣).

ما أعجب صحبة الرب لهذا اللص ! كان زميلا على الصليب ، وزميلا صالحا !! وبلغت الصحبة مداها ، أن الرب لم يكتف بصحبته له على الصليب ، وانما قرر أن تستمر الصحبة أيضا فى الفردوس ! كان يستطيع أن يعده قائلا « اليوم تكون فى الفردوس » . ولكنه قال له «تكون معى» . يدخل فى معيته ، وحيثما يكون الرب يكون معه أيضا ... ما أسعده لصا !... لم يأنف الرب من هذا اللص ، ولم يشمئز ، بل على العكس وجد فيه قلبا مملوءا بالفضائل . فبادله الحديث على خشبة الصليب ، وفرح أن يسعد قلب هذا اللص بوعد يطمئنه على مصيره قبل أن يلقى الموت ...

ستكون معى فى الفردوس ، لأن قلبك صار معى على الأرض . لأنك سلمتنى قلبك على الصليب ، وسلمتنى مصيرك ولأنك تألمت معى ، فلذلك سوف تتمجد معى أيضا ... لقد صلبت معى ، وتألمت معى ... وستحيا معى أيضا

ما أعجب هذا اللقاء ... على الصليب ...

كثيرون التقوا مع الرب فى الكنائس والمعابد ، وآخرون التقوا به فى مخادعهم المغلقة عليهم ساعة الصلاة ... أما أن يكون مكان اللقاء على الصليب ، فهذا عجيب حقا . هل كان هذا اللص يفكر انه اذا تاب فى يوم ما ، والتقى بالرب يكون لقاؤه به فى مثل هذا الموضع ... !!!

حقا ان « ملكوت الله لا يأتى بمراقبة » (لو ١٧ : ٢٠) .. لا نستطيع أن نعرف متى تعمل النعمة فى الانسان ،وكيف، ومتى ... حقا ان الروح يهب حيث يشاء (يو ٣ : ٨) ... لقد عاش هذا اللص حياته كلها فى الخطية ، ولصقت به الخطية حتى على الصليب عندما كان يعير الرب مع زميله ... فهل معنى هذا أن النعمة كانت قد حجبت وجهها عنه أو أن الرب قد نسيه الى الانقضاء ... ؟! كلا ، فمراحم الرب كانت تنتظر الوقت المناسب لتعمل فيه ... ثم جاء زمان افتقاده ونال الخلاص ، وهو على بعد أشبار من الموت ...

نحن لا نعرف من هم المختارون • من كان يظن أن هـذا اللص سيصير واحدا منهم !! من كان يظن أنه فى ساعة واحدة سينال ما ناله غيره بجهـاد عشرات السنوات ؟! اننـا نحكم حسب الظاهر ، ونحتقر البعض ، ونرثى للبعض ، وربمـا يكونون أفضل منا بمراحل ••• ومع ذلك نقول فى صدق ان هذا اللص ، قد دخل الفردوس عن جدارة واستحقاق •

لقد كان عجيبا ، وعجيبا جدا ، فى كل ما فعله •••

اعترف بالمسيح ربا ، فقال له « اذكرنى يارب » •

واعترف به ملكا ، فقال له « متى جئت فى ملكوتك » •

واعترف به مخلصا ، قادرا أن ينقله الى الفردوس •

وعلى الصليب اعترف هـذا اللص بخطاياه الشخصية ، واعترف باستحقاقه للموت • ووبخ زميله اللص الآخر قائلا له « أما نحن فبعـدل (جـوزينا) ، لأننا ننـال اسـتحقاق ما فعلنا » •

وانتهر زميله بسبب تجديفه على السيد المسيح قائلا له « أو لا تخاف الله اذ أنت تحت هذا الحكم بعينه ••• وأما هذا فلم يفعل شـيئا ليس فى محله » (لو ٢٣ : ٤٠ ـ ٤١) • وهكذا اعترف ببر المسيح وخلوه من الخطية ، وبالتالى لا يكون قد صلب بسبب خطية له ، وبالاسـتنتاج يكون صـلبه عن خطية غيره •••

عجيب هذا حقا ، أن يكون الوحيد الذى دافع عن السيد المسيح وسط تلك الآلاف هو اللص اليمين !! لم يدافع عنه واحد من الاثنى عشر • لم يدافع عنه واحد من التلاميذ السبعين • لم يدافع عنه واحد من الذين شفاهم أو أقام موتاهم أو أخرج منهم الشياطين ••• لم يدافع عنه أحد ••• اجتاز المعصرة وحده • والوحيد الذى دافع عنه ، ولم يقبل كلمة اساءة توجه اليه ، هو اللص اليمين !! من كان يظن فى جميع التلاميذ وفى جميع المؤمنين ، أن الوحيد الذى يدافع عنه هو اللص!! حقا — كما قال الرب — « انظروا ، لا تحتقروا أحد هؤلاء الصغار » (متى ١٨ : ١٠) •

فلا تظن فى نفسك يا أخى أنك شىء ، أو أنك أفضل من أمثال هؤلاء ••• لا تظن فى نفسك أنك كأحد الرسل او أحد الأحباء أو المريدين أو القريبين من الرب ••• فقد سكت كل هؤلاء ، لم يدافع واحد منهم عن المسيح ، والذى دافع عنه هو لص لم يكن يتوقعه أحد ، ولم يكن يسمع به أحد •••

والجميل فى هذا اللص — غير دفاعه عن المسيح — أنه كان مشغولا بأبديته • كان مهتما باعداد العدة لمصيره الأبدى • هو أيضا لم يكن يفكر فى آلامه الجسدية ، وانما فى مصيره بعد الموت • لذلك صرخ فى استرحام وفى استغفار « اذكرنى يارب » ••• اذكرنى فى مراحمك ، وليس فى خطاياى • أو كما قال داود النبى « اذكر يارب مراحمك ورأفاتك فانها ثابتة

منذ الأزل · خطايا شبابي وجهالاتي لا تذكر · كرحمتك اذكرني أنت ، من أجل جودك يا رب » (مز ٢٥ : ٦ ، ٧) ·

« اذكرني » ولا تدخلني في زمرة أولئك الذين قلت لهم « اني لم أعرفكم قط » ··· اذكر هذا الجوار ··· **انها ساعات خالدة في حياتي ، تلك التي قضيتها الى جوارك على الصليب · انها أسعد ساعات حياتي** ، أتمتع بشركة آلامك ، وأفتخر بأني « مع المسيح صلبت » (غل ٢ : ٢٠) · فمن أجل هذا الجوار اذكرني · لقد كان صلبي الى جوارك عارا لك ، ولكنه فخر أبدي لي · تكفيني هذه الساعات السعيدة معك ، ولكني أريد أن اعتبرها كمجرد عربون ···

ان عبارة « اذكرني » التي أقولها لك ، تعني وجود علاقة سابقة · تعني أنني معروف عندك ، ومكتوب في سفرك ، ومنقوش على كفك ·

لقد أحصيت مع اثمة (أش ٥٣ : ١٢) ، وصلبت مع الخطاة · وان حسب هذا عارا لك ، لكنه نعمة لي وبركة ··· ما الذ وجودي الى جوارك ، أنه ينسيني كل الآمي فلا أشعر بها ··· بل أشعر بروحك تتخلل كياني كله ، وتطهرني وتقدسني ، وتجعلني انسانا آخر ··· انك كشعاع الشمس الذي قد يرقد الى جوار أي جسم قذر ، فلا يتسخ منه ، بل يطهره ·· **أنا معتز بصحبتك ، ليتني عرفتك من قبل ··** ، **فاذكرني** ·

ليت كل واحد فينا يصيح مع اللص قائلا «اذكرني يارب» اذكر ان لك ابنا فى كورة بعيدة ،وعبدا ضالا خارج الحظيرة · اذكرنى فى ضعفى ، وفى ذلى ، وفى سبيى · اذكرنى فى سقوطى لكى تقيمنى وترد نفسى اليك · اذكرنى لأنى واحد من الذين « ليس لهم أحد يذكرهم » · ليس لى انسان يلقينى فى البركة فأبرأ (يو ٥ : ٧) ·

ان قصة اللص اليمين هذه تعطينا فكرة أن ساعة الموت تختلف من انسان الى آخر · لا نقل انه ذكر الرب وتاب اذ كان لابد أن يفعل هكذا فى ساعاته الأخيرة · كلا ، فاللص الآخر كان مثله فى ساعاته الأخيرة · ومع ذلك يقول الكتاب انه كان يجدف على المسيح ، وما كان يخاف الله ، وما كان يهتم بمصيره الأبدى · وانما كان كل همه أن يتخلص من الصليب (لو ٢٣ : ٣٩) ، ليعود فيتمتع بهذا العالم ··· وهكذا استحق الانتهار من زميله · **وفى ساعة الموت : بدلا من أن يتوب عن خطاياه ، كان يرتكب خطايا جديدة ، بقسوة قلب !!···** كان هذا اللص اليسار قريبا من المسيح بالجسد الى جواره · أما قلبه فكان مبتعدا عنه بعيدا بما لا يقاس ، حتى فى ساعة الموت !! ان ساعة الموت لم تستطع أن تذكره بالتوبة ، ولا أن تدفعه الى الاستعداد ··· اطلاقا ···

انه لم يتأثر بمغفرة المسيح لصالبيه : ولم تملكه الغيرة من أجل الوعد الذى ناله زميله بدخول الفردوس · ولم

يؤمن اذ رأى السماء ، والأرض ماجت مرتعدة ، والصخور تشققت ، والظلمة سادت على الكون ... بل كان منشغلا عن أبديته ، حتى فى ساعة الموت . ما يزال يحب العالم ومعاودة المعيشة فيه ... لا يريد المسيح ولا صحبته ، وانما يحب أن يستغله كوسيلة للنزول من على الصليب ...

انه درس قاس لكل من يؤجل التوبة ، وفى ظنه أنه سيتوب فى أواخر أيامه ، التى لا يعرف لها موعدا !!

كثير من الناس يكونون فى ساعة الموت مثل اللص الذى على الشمال ، يجدفون ويتذمرون ويشتهون العالم الحاضر !!

من كان عبدا لعادة من الصعب أن يبطلها بالتأجيل ، حتى لو دقت يداه وقدماه بالمسامير ، وكان بينه وبين الموت دقائق !! اذا لم يتعاون الانسان مع عمل النعمة فى قلبه ساعة الموت ، فمن الممكن أن يخطىء فى تلك الساعة أيضا .

كثيرون فى ساعة الموت يبكون بدموع ... ليس بكاء على خطاياهم ، وانما لأن الموت سيحرمهم من ملاذ الحياة !!

يبكون لأن الموت سيفصلهم عن أحبائهم وعن شهواتهم ... مايزال العالم حلوا فى قلوبهم ، حتى فى ساعة الموت ...

لا تظنوا أن الموت ـ بالضرورة ـ يجلب للانسان خشوعا !.. ليس لكل الناس . ان اللص اليمين استفاد من ساعة الموت، واللص اليسار لم يستفد ... وبينما كان اللص اليسار

يجـدف ويعير ، كان زميله يصلي ، ويتضرع قائلا « اذكرني يارب متى جئت في ملكوتك » ٠

والرب لم يتخل عن هذا اللص التائب ٠ ولم يتماهل عليه وانما كانت استجابة صلاته أسرع مما كان يتوقع ٠ ان اللص في آخر ساعاته لم يفقد رجاءه في مراحم الرب ٠ والرب أيضا قوى رجاءه وأكده تأكيدا بقوله له « الحق أقول لك انك اليوم تكون معى ٠٠٠ » ٠ انك الآن معى ، وبعد قليل ستكون معى ٠ ولكن شتان بين الحالين ٠٠٠ كما كنت معى في الألم ستكون معى « في الفردوس » ٠ أنت الآن تتعذب ، وهناك تتعزى ٠٠٠

وبقول الرب « في الفردوس » انما صحح للص خطأ وقع فيه ٠ وصححه له بنفس طريقة المسيح الهادئة اللطيفة ٠٠٠ لقد قال اللص « اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك» وحسنا آمن أن للمسيح ملكوتا روحيا في السـموات ، وأن مملكته ليست من هذا العالم كما يطلب العالميون ٠٠٠ ولكن ملكوت السموات لا يدخله الناس الا بعد القيامة العامة ٠ أما بعد الموت مباشرة ، فيذهبون الى مكان الانتظار ٠ ومكان انتظار الأبرار هو الفردوس ٠ وهكذا لم يقل السيد للص « اليوم تكون معى في ملكوتي » ، وانما «في الفردوس» . وبهذا باشر الرب وظيفته كمعلم صالح ، حتى على الصليب، بنفس طريقته الوديعة في التعليم ، شارحا للمخطىء خطأه دون أن يقول له انك أخطأت ٠

ستكون معي في الفردوس ، كعربون ... وستأتي معي على السحاب في مجيئي الثاني . وستقف على يميني في يوم الدينونة ، كما أنت الآن عن يميني على الصليب ، رمزا للأبرار ... وستملك أيضا معي في ملكوتي . وتكون معي في الأبدية التي لا تنتهي ... ها أنا معك كل الأيام والى انقضاء الدهر ...

لعل هذا الوعد قد جعل اللص ينتظر الموت بفرح ، ليكون مع المسيح ، فذاك أفضل جدا ... هنا نقول ما ألذ الموت ! « أين شوكتك يا موت » !! ان الموت مرعب للأشرار لكنه مفرح للذين يرقدون على رجاء ، للذين نالوا المواعيد ، ونظروا الأكاليل ، واطمأنوا الى مصيرهم بعد الموت ، ورن في آذانهم قول المسيح « اليوم تكون معي في الفردوس » ...

وبقوله « تكون معي في الفردوس » ، لم يعلن للص غفران خطيئته فحسب ، وانما أعلن أيضا فتح باب الفردوس لأول مرة بعد خطيئة آدم . هذه الفردوس التي كانت مغلقة منذ ذلك الزمان ، لا يستحق أحد دخولها بسبب الخطية . وهذه العبارة التي قالها الرب للص ، نتذكرها كلما نودع نفسا رحلت عن عالمنا . فنقول في صلاة الجناز « افتح لها يا رب باب الفردوس كما فتحته لذلك اللص » .

ان المغفرة التي نالها اللص هي عمل الهي ، وفتح باب الفردوس هو عمل الهي أيضا . عملان قام بهما الرب على

الصليب يثبتان لاهوته • انه لم يصل لأجل اللص للمغفرة ولدخول الفردوس ، وانما قال له بسلطان « اليوم تكون معى ••• » • وكأنه بهذا قد باشر عمله كديان عادل من حقه أن يصدر حكما فى أبدية انسان ، فحكم للص بدخول الفردوس فى نفس اليوم • من من البشر له سلطان أن يفعل هذا ؟! انه سلطان الهى لا يقدر عليه انسان ••• كذلك فتح الفردوس : أمر لم يقو عليه أحد من قبل ، لا رئيس آباء ولا نبيا • من استطاع أن يفتح باب الفردوس المغلق ، أو من استطاع أن يدخله ؟! لا أحد • كلهم انتظروا حتى يأتى المخلص فيفتح لهم • انه عمل الهى ••• وهو أيضا اعلان عن كفاية هذا الدم المسفوك عنا لفتح باب الفردوس •••

حقا انه صاحب السلطان • « يفتح ولا أحد يغلق • ويغلق ولا أحد يفتح » (رؤ ٣ : ٧) ، (اش ٢٢ : ٢٢) • هو الذى بيده مفاتيح الهاوية والموت (رؤ ١ : ١٨) • بل بيده مفاتيح السماء والأرض ، وبسلطانه يهبها لتلاميذه ، وكلائه على الأرض • هو الذى فتح للعذارى الحكيمات • واليه تضرعت الجاهلات قائلات « يا ربنا يا ربنا ، افتح لنا » (متى ٢٥ : ١١) • ولكنه لا يفتح فردوسه ، الا للذين فتحوا له قلوبهم ، كاللص اليمين الذى استحق أن يقول له « اليوم تكون معى فى الفردوس » •••

وعبارة (اليوم) تكون معى ، دليل أكيد على عدم وجود

مطهر كما يظن البعض • فاللص دخـل الفردوس فى نفس يوم وفاته ، دون أن يقضى فى هـذا المسمى بالمطهر سـاعة واحـدة !!••• كما أن عبـارة (اليوم) تكون معى ، تنفى الفكرة التى بها يظن البعض أن روح الميت تظل باقية تتردد على أماكن سكناها حتى اليوم الثالث الى أن تصلى الـكنيسة صلاة فى اليوم الثالث لصرف تلك الروح !!••• هل بقيت روح اللص اليمين الى اليوم الثالث ، أم فى نفس اليوم كانت فى الفردوس ؟!•••

وبعبارة الفردوس شرح الرب مصير الانسان بعد الموت، وكيف أن الفردوس هو مكان الانتظار للأبرار ، وكيف انهم سيكونون هناك مع المسيح يتمتعون به •

اليوم تكون (معى) • انها متعة جميلة أن نكون مع الرب ان الوجود مع الرب هو أجمل من الفردوس ، أو هو أجمل ما فى الفردوس ، أو هـو الفردوس ذاتها ، بل هـو النعيم الحقيقى ، أن نوجد معه • هذا هو ما قاله الرب ، وما وعد به « ••• آتى وآخذكم الى ، حتى حيث أكون أنا تكونون انتم أيضا » (يو ١٤ : ٣) • ما أجمل هذا الوعد • انه أملنا الذى نسعى اليه ، ونتشهاه •••

ان الحياة الروحية كلها هى « معية مع الرب » •••

بهذا الوعد ، أفرح الرب قلب اللص ، ولم تشغله آلام الصلب عن التحدث مع هذا الانسان وطمأنته واسعاده •••

نسى السيد الرب آلامه المبرحة ، نسى الشوك والمسامير وآثار الجلد وجسده المنهك ، وشغل وقته بالاصغاء الى هذا اللص والتحدث معه وطمأنة قلبـه ... حقا ان « المحبـة لا تطلب ما لنفسها » (اكو ١٣ : ٥) ، بل ما هو للآخرين (اكو ١٠:٢٤) ما أكثر ما يأتى الينا انسان فى وقت تعبنا أو مشغوليتنا ، فنتبرم به ، ونتضايق ، ونقول له « طيب يا أخى بعدين ، أنا مش فاضى لك دلوقتى ، استنى شوية » . أما السيد المسيح فحتى على الصليب ، لم يقل مثل هذه العبارات . وانما على الرغم من آلامه أعطى للص الاهتمـام الذى يحتـاج اليـه ، واستجاب طلبته ، وأسـعد قلبـه . وأرانا أنه حتى عـلى الصليب يمكن القيام بخدمة للآخرين ...

وفى الاهتمام باللص يظهر لنا الرب أهمية العمل الفردى الى جوار العمل الجماعى . فبالاضافة الى عمل الفداء العظيم المقدم للعـالم أجمع ، لكل من يؤمن به ، وبالاضـافة الى غفرانه لصالبيه ، كان له أيضا عمل فردى مع اللص . لأن الفرد ـ عند المسيح ـ لا يتوه وسط الجماعة ... ماتزال له قيمته ، وله اهتمامه ...

وهكذا كان السيد المسيح فى كل كرازته على الأرض يعمل فى الميدانين معا : العمل الجماعى ، والعمل الفردى : العمل الجماعى وسط الجماهير الكثيرة ، وسط الجموع المزدحمة

حواليه فى عظته على الجبل ، ووســـط الخمسة الآلاف الذين اشــبعهم بخمس خبزات وسمكتين ٠٠٠ وله العمــل الفردى وسط الاثنى عشر ، أو وسط ثلاثة منهم هم بطرس ويعقوب ويوحنا ، أو مع نيقوديموس ، أو فى بيت مريم ومرثا ، أو مع المرأة السامرية عند البئر ٠٠٠

ان الله لا ينسى الفرد وسط الجماعة ٠ لا يضيع فرد فى زحمة الناس ٠ لا يضيع الخروف الضال فى زحمة الاهتمام بالتسعة والتسعين الباقين ٠٠٠ لا يضيع اللص اليمين وسط الاهتمام بخلاص العالم كله ٠



الكلمة الثالثة

هوذا ابنكِ ... هوذا أمكَ (يوحنا ١٩ : ٢٦، ٢٧)

كان الاهتمام بالآخرين هو أول ما يشغل الرب على الصليب • فكما اهتم بصالبيه ، وقال « يا أبتاه أغفر لهم» وكما اهتم باللص اليمين ووعده قائلا « اليوم تكون معى فى الفردوس » ، اهتم أيضا بأمه ، وعهد برعايتها الى تلميذه الحبيب يوحنا •

عهد بالبتول الى تلميذه البتول •••

عهد بأمه التى حملته كثيرا على صدرها ، الى تلميذه الحبيب الذى أتكأ كثيرا على صدره •

عهد بأمه التى وقفت الى جوار صليبه ، الى تلميذه الوحيد الذى تبعه حتى الصليب •

عهد بأمه التى حملت فى داخلها جمر لاهوته ، الى تلميذه الذى كتب انجيلا فيما بعد يثبت فيه لاهوته •

قال لها « هذا هو ابنك » • وقال له «هذه هى أمك »• ومن ذلك الحين أخذها التلميذ الى بيته (يو ١٩ : ٤٧)•

وبهذا أعطانا الرب مثالا عن الاهتمام بالاقرباء حسب الجسد ، وبخاصة الأم • لقد اهتم بهذا المستودع الذى حمله تسعة أشهر ، وبهذه الأم التى اهتمت به قبلا ، والتى عاش خاضعا لها (لو ٢ : ٥١) •

ان الشخص فى آلامه يكون موضع اهتمام الناس به • أما المسيح فى آلامه ، فكان هو المهتم بغيره ••

كم بالحرى الآن وهو فى راحته ، يهتم بنا بالاكثر •••

اهتمامه الاول وجهه الى غفران الخطايا ، وبعد ذلك اهتم بالرعاية الاجتماعية • وكانت الأم هى أول من اهتم به فى هذه الرعاية •

لقد ظن البعض ـ عن سوء فهم ـ أن السيد الرب فى تركيزه على العلاقات الروحية ، قد ابطـل الاهتمام بهـذه العلاقات العائلية فى قوله « من هى أمى، ومن هم أخوتى •• الذى يفعل مشيئة أبى الذى فى السموات هو أخى وأختى وأمى » (متى ١٢ : ٤٨ـ٥٠) • ولكن هذا الفهم الخاطىء ألغاه الرب على الصليب •••

ان التكريس ، والتفرغ لخدمة الرب ، والانشغال بالأسرة الكبيرة التى هى الكنيسة الجامعة ، كل ذلك لا يعنى اهمال الانسان لأقربائه وخاصته ، ولا سيما أهل بيته • (١تى٥:٨) وكل ذلك لا يعفى الانسان من اكرام والديه أو من الاهتمام بأمه •

وكأنما كان هناك موعد بين السيد المسيح وأمه القديسة العذراء • كان وجهها الطاهر أول وجه يراه عند مجيئه الى هذا العالم بالجسد ، وكان آخر وجه يراه قبيل تسليمه الروح فى يدى الآب ••• انه قلب الأم المحب الذى يسعى وراء الابن أينما كان ، ويلازمه فى آلامه فى حب •• ويناجيه بتلك العبارة المؤثرة « أما العالم فيفرح لقبوله الخلاص•وأما أحشائى فتلتهب بالنار عند نظرى الى صلبوتك الذى أنت صابر عليه من أجل الكل يا ابنى والهى » •••

وهو أيضا قلب الابن الذى يهتم بأمه وهو فى عمق آلامه •

وهكذا وجد السيد المسيح من اللازم أن يعتنى بأمه فى آلامها ، ويقول لها كلمة تعزية بينما « يجوز فى نفسها سيف (لو ٢ : ٣٥) ••• وجد من المناسب له كابن أن يعزى أمه فى آلامها • **وقد عزاها بثلاثة أمور : بالحديث معها ، وبالعناية بها وتدبير أمورها ، وبمنحها ابنا روحيا يؤنس وحدتها •••**

وحديث الرب مع أمه على الصليب ، يختلف عن حديثه مع اللص اليمين • اللص هو الذى بدأ الكلام ، والرب رد عليه • أما مع القديسة مريم ، فالرب هو الذى بدأ الكلام ••• انها أمه • لا ينتظر حتى تكلمه فيرد عليها • ولا ينتظر حتى تشكو اليه فينظر فى شكواها ••• وهى لن تشكو • فقد تعودت العذراء أن تصمت • حتى الى جوار الصليب ، لم يقل أحد انها كانت تصرخ أو تندب ، انما كانت رصينة ورزينة فى ألمها ، وصامتة • وكان الرب يفهم صمتها ويسمعه ، ويعرف

دواخل قلبها ومشاعرها . فكلمها دون أن تطلب . وأطاعت كلامه ، وذهبت مع التلميذ الحبيب الى بيته ...

وكانت العذراء بركة ليوحنا ، وبركة لبيته ، منحه المسيح اياها ، مكافأة له على حبه ... أخذها التلميذ كجوهرة ثمينة أغلى من العالم كله ... وظلت فى بيته وديعة غالية حتى تنيحت ... ويقال ان يوحنا الرسول لم يبرح أورشليم الا بعد نياحة العذراء ... ان كان يوحنا قد وصل فى حبه أنه تبع المسيح الى الصليب ، وظل واقفا الى جواره ، فيجب أن ينال مكافأة على ذلك ، هنا وفى الأبدية ... أما هنا ، فقد نال بركة العذراء واقامتها فى بيته ... ان كل الذين يتبعون المسيح ، لابد أن يأخذوا منه شيئا ... لابد أن يغترفوا من بركاته ومن نعمه ...

والعذراء أخذت يوحنا لها أبنا . أعطاها الرب أكثر تلاميذه حبا وعاطفة ورقة وتعلقا واخلاصا ... يوحنا الحبيب أكثر من تكلم من الرسل عن المحبة ... هو الذى قال ان « الله محبة » (١ يو ٤ : ١٦) ، هو التلميذ الذى كان « يتكئ فى حضن يسوع » وكان « يسوع يحبه » ... انه أكثر انسان يقدم للعذراء صورة ابنها ...

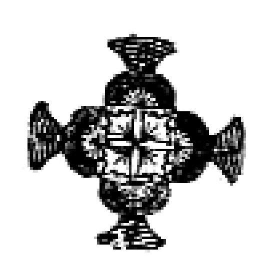
كان يبدو ان المسيح على الصليب لا يملك شيئا . حتى ملابسه ، أخذوها واقتسموا فيما بينهم . **ولكنه كان يملك يوحنا ، فأعطاه لأمه** . يوحنا الذى وهب قلبه للمسيح ، فأخذ

المسيح هذا القلب ، ووهبه لأمه ... وهكذا جمع الرب محبيه معا ... واهتم بأمه عاطفيا ، كما اهتم بها ماديا ...

ترى من الذى كان يهتم بالآخر : العذراء أم يوحنا ... كانت العـــذراء فى بيت يوحنا ، لا لتأكل منه ، وانما لتملأه بركة ونعمة ... ولكى تمنحه أيضا معرفة بالمسيح ، أعمق من كل ما يعرفونه ، وأوسع ...

نلاحظ أن كون المسيح يعهد بأمه الى تلميذه يوحنـــا ، يحمل دلالة أكيدة على أن السيدة العذراء لم يكن لها أبنـــاء آخرون بعد المسيح كما يدعى البروتستانت . لأنه لو كان لها أبناء ، لكانوا أولى برعايتها وبنوال بركتها من أى شخص غريب ... لقد كانت العذراء وحيدة فى ذلك الوقت : ليس لها أبناء ، ويوسف النجار قد تنيح منذ زمن . فعهد بهـــا المسيح الى تلميذه ...

وعبارة « هذا هو ابنك » تعطينا فكرة عن البنوة الروحية كما توضح لنا كرامة العذراء بالنسبة الى آبائنـــا الرســـل أنفسهم ...



الكلمة الرابعة

إلهي إلهي لماذا تركتني (متى ٢٧: ٤٦)

هذه العبارة لا تعنى أن لاهوته قد ترك ناسوته ، ولا أن الآب قد ترك الابن ... لا تعنى الانفصال ، وانما تعنى أن الآب قد تركه للعذاب ...

ان لاهوته لم يترك ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين .. بهذا نؤمن ، وبهذا نصلى فى القداس الالهى.. ولو كان لاهوته قد انفصل عنه ، ما اعتبرت كفارته غير محدودة ، تعطى فداءا غير محدود ، يكفى لغفران جميع الخطايا لجميع البشر فى جميع الأجيال ... اذن فلم يحدث ترك بين لاهوته وناسوته .

ومن جهـة علاقتـه بالآب ، فلم يتركه الآب ، « لأنه فى الآب ، والآب فيه » (يو ١٤ : ١١) .

اذن ما معنى عبارة « لماذا تركتنى » ؟

ليس معناها الانفصال ، وانما معناها : تركتنى للعذاب. تركتنى أتحمل الغضب الالهى على الخطية. هذا من جهة النفس.

أما من جهة الجسد ، فقد تركتني أحس العذاب وأشعر به ٠ كان ممكنا ألا يشعر بألم ، بقوة اللاهوت ٠٠٠ ولو حدث ذلك لكانت عملية الصلب صورية ، ولم تتم الآلام فعلا ، وبالتالى لم يدفع ثمن الخطية ، ولم يتم الفداء ٠٠

ولكن الآب ترك الابن يتألم ، والابن قبل هــذا الترك وتعذب به ٠ وهو من أجل هذا جاء ٠٠ كان تركا باتفاق ٠٠ من أجل محبته للبشر ، ومن أجل وفاء العدل ٠٠ تركه يتألم ويبذل ، ويدفع ، دون أن ينفصل عنــه ٠٠٠ لم يكن تركا اقنوميا ، بل تركا تدبيريا ٠٠ تركه بحب ، « سر أن يسحقه بالحزن » (أش ٥٣ : ١٠) ٠

مثال لتقريب المعنى :

لنفرض أن طفلا اصطحبه أبوه لاجراء عملية جراحية له، كفتح دمل مثــلا أو خراج ٠ وأمسكه أبوه بيــديه ، وبدأ الطبيب يعمل عمله ، والطفل يصرخ مستغيثا بأبيه « ليــه سبتني » ٠ وهو في الواقع لم يتركه ، بل هو ممسك بــه بشدة ، ولكنه قــد تركه للألم ، وتركه في حب ٠٠٠ هــذا نوع من الترك ، مع عدم الانفصال ٠٠ نقوله لمجرد تقريب المعنى ، والقياس مع الفارق ٠٠

ان عبارة « تركتني » ، تعــني أن آلام الصلب ، كانت آلاما حقيقية ٠٠ وآلام الغضب الالهى كانت مبرحة ٠٠ في هذا الترك تركزت كل آلام الصليب ، وكل آلام الفداء ٠٠

هنا يقف المسـيح كذبيحة محرقة ، وكذبيحة اثم ، تشتعل فيه النار الالهية حتى تتحول الذبيحة الى رماد ، وتوفى عدل الله كاملا ٠٠

كثير من المفسرين يرون أن الرب بقوله «الهى الهى لماذا تركتنى» انما كان يذكر اليهود بالمزمور الثانى والعشرين الذى يبدأ بهذه العبارة ٠٠٠

كانوا « يضلون اذ لا يعرفون الكتب » (متى ٢٢ : ٢٩) بينما كانت هذه الكتب « هى التى تشهد له » (يو ٥ : ٣٩) فأحالهم السيد المسـيح الى هذا المزمور بالذات ٠ وكانوا لا يعرفون المزامير بأرقامها الحالية ، وانما يسمون المزمور بأول عبارة فيه ، كما يفعل الرهبان فى أيامنا ٠٠٠

وماذا فى هذا المزمور عنه ؟

فيه « ثقبوا يدى وقدمى ، واحصوا كل عظامى ٠٠٠ وهم ينظرون يتفرسون فى ٠ يقسمون ثيابى بينهم ، وعلى قميصى يقترعون » (ع ١٧ ، ١٨) ٠ وواضح أن داود النبى الذى قال هذا المزمور ، لم يثقب أحد يديه ولا قدميه ٠ ولم يقسم الناس ثيابه ، ولم يقترعوا على قميصه ٠٠٠ انما هذا المزمور قد قيل بروح النبوة على المسيح ٠٠٠ وكأن المسيح على الصليب يقول لهم : اذهبوا واقرأوا مزمور « الهى الهى لماذا تركتنى » وانظروا ما قيل فيه عنى ٠٠٠ ترون أنه قيل فيه عنى أيضا

« عار عند البشر ، ومحتقر الشعب • كل الذين يروننى يستهزئون بى • يفغرون الشفاه وينغصمون الرأس قائلين : اتكل على الرب فلينجه • لينقذه لأنه سر به » (ع ٦ — ٨) •••

ويعوزنا الوقت ان فحصنا كل المزمور ••• انه صورة واضحة لآلام المسيح على الصليب • وجههم اليه • « وفتح ذهنهم ليفهموا الكتب » (لو ٢٤ : ٤٥) •

كل نص المزمور بدأ يتحقق ، لذلك قال بعد حين « قد أكمل » ••• ولكن لماذا لم يقل « قد أكمل » مباشرة بعد « الهى الهى لماذا تركتنى » ؟ ؟ لأن هناك عبارة أخرى فى المزمور لم تكمل بعد وهى عبارة « يبست مثل شقفة قوتى ، ولصق لسانى بحنكى » (ع ١٥) • ان هذه أيضا ستتحقق بعد حين عندما يقول « أنا عطشان » • لذلك قال بعدها « قد أكمل » •••

ولكن لماذا قال المسيح « الهى ، الهى » ؟

لقد قالها بصفته نائبا عن البشرية • قالها لأنه « أخلى ذاته ، وأخذ شكل العبد ، صائرا شبه الناس ، وقد وجد فى الهيئة كانسان » (فى ٢ : ٧ ، ٨) • قالها لأنه «وضع نفسه » و « أطاع حتى الموت ، موت الصليب » (فى ٢ : ٩) انه يتكلم الآن كابن للانسان ، أخذ طبيعة الانسان ، وأخذ موضعه ، ووقف نائبا عن الانسان وبديلا أمام الله ، كابن

للبشر ، وضعت عليه كل خطايا البشر ، وهو الآن يدفع ديونهم جميعا ...

هنا نرى البشرية كلها تتكلم على فمه ... واذ وضعت عليه كل خطايا البشر ، والخطية انفصال عن الله ، وموضع غضب الله ، لذلك تصرخ البشرية على فمه « الهى الهى ، لماذا تركتنى » ...

لقد ناب السيد المسيح عن البشرية فى أشياء كثيرة ، ان لم يكن فى كل الأشياء ...

ناب عنا فى الصوم : لم يستطع آدم وحواء أن يصوما عن الثمرة المحرمة ، وقطفا وأكلا، وبدأ السيد حياته بالصوم حتى عن الطعام المحلل . لم يكن فى حاجة الى الصوم ، ولكنه « صام عنا أربعين يوما وأربعين ليلة » كما تقول تسابيح الكنيسة .

وناب عنا فى طاعة الناموس : « الرب من السماء أشرف على بنى البشر ، لينظر هل من فاهم طالب الله . الجميع زاغوا وفسدوا . ليس من يعمل صلاحا ، ليس ولا واحد » (مز ١٤ : ٢ ، ٣) . وجاء المسيح ، فناب عن البشر فى طاعة الآب ، ونفذ الناموس لكى « يكمل كل بر » (متى ٣ : ١٥) كما ذكر وقت العماد ... وهكذا ناب عن البشرية فى تقديم حياة طاهرة مقبولة أمام الله الآب ...

وناب عنا أيضا فى الموت وفى العذاب وفى دفع ثمن الخطية « والذى بلا خطية ، صار خطية لأجلنا » (٢ كو ٥ : ٢١). « واحتمل كل لعنة الناموس » . واحتمل كل غضب الله على الخطاة بكل ما فيه من مرارة . وكنائب عن البشرية قال : « الهى الهى لماذا تركتنى » ...

وهذا الذى أعان الكل ولم يترك أحدا ، تركه الكل حتى الآب ... وبهذا دفع ثمن الخطية ، وتحمل الغضب ، وخرج منتصرا ، بعد أن جاز معصرة الألم وحده ، نفسا وجسدا..

وفى هذا كله أعطانا درسا ، لكى نحترس نحن .

ان كانت الخطية تسبب كل هذا الترك ، وكل هذا التخلى ، وكل هذا الألم، فلنسلك نحن بتدقيق (أف٥ : ١٥) ولنخف أن نترك الرب لئلا يتركنا . فان الابن نفسه قد ترك . وألم الترك لا يطاق . وفى كل ذلك فلنشكر ربنا يسوع المسيح ونسبحه على كل هذا الحب وهذا البذل ...

ان عبارة « لماذا تركتنى » ، تعطينا الكثير من العزاء كلما نقع فى الضيقات ... ان كان الله الآب «لم يشفق على ابنه» (رو ٨ : ٣٢) وسلمه لهذا العذاب والحزن ، فلماذا نتذمر نحن على الآلام التى يسمح بها الآب ؟!.. ان كان الآب قد سر أن يسحق بالحزن ابنه الوحيد الحبيب الذى قال عنه : « هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت » (متى ٣ : ١٧).

ومع ذلك فنحن لم نتعرض لشيء من كل آلام المسيح على الرغم من استحقاقنا لكل ألم ، فلماذا اذن نتذمر على الضيقات ؟!

ان الابن شرب الكأس التى قدمها له الآب ، وقال له « لتكن مشيئتك » ··· وأطاع حتى الموت ، موت الصليب، بكل خضوع · أما عبارة « لماذا تركتنى » ، فلم تكن نوعا من الاحتجاج أو الشكوى ـ كما قلنا ـ انما كانت مجرد تسجيل لآلامه ، واثبات حقيقتها ، واعلانا بأن عمل الفداء سائر فى طريق التمام ···



الكلمة الخامسة

أَنَـا عَطْشَانُ (يوحنا ١٩ : ٢٨)

من أجل خطاياى ـ أيها الأخ ـ ومن أجل خطاياك ، جف حلق الرب على الصليب ، و «لصق لسانه بحنكه» و «يبست مثل شقفة قوته » (مز ٢٢ : ١٥) ...

مياه جسده قد تصفت ونزفت ، وذلك لأسباب كثيرة :

بعضها لأجل العرق الكثير الذى سال منه كقطرات دم، وهو يجاهد لأجلنا فى بستان جثسيمانى (لو ٢٢ : ٤٤) • والعرق الذى سال منه فى الطريق وهو يحمل الصليب ، وطوال المدة تحت أشعة الشمس المحرقة فى نصف النهار•• وبخاصة من أجل التعب والارهاق والانهاك الذى تعرض له فى كثرة المحاكمات وكثرة اللطمات •

يضاف الى كل هذا الدم الكثير الذى نزف منه ، بسبب الجلد المريع ، وبسبب اكليل الشوك ، وبسبب المسامير ••

لكل ذلك جف حلقه ، واحتمل حتى لم تبق فى جسده قوة ، فقال « أنا عطشان » ...

وبهذا أعلن أن الطرق أخذ سبيله الى الحديد المحمى بالنار ، أو أعلن أن النار بدأت تلتهم ذبيحة المحرقة ...

أو أعلن أن العدل الالهى يتقاضى أجره ، وأن اللاهوت - كعهده - لم يتدخل لتخفيف الألم عن الناسوت ، فكان ألما كاملا ، تنسم منه الآب رائحة الرضا ، وعبر عنه الابن بعبارة « أنا عطشان » ... فليخز الآن أوطيخا الذى قلل من حقيقة ناسوت الرب . فلو لم يكن ناسوته كاملا ، ما قال « أنا عطشان » ...

عجيب أن يعطش الينبوع ، الذى يهب الماء الحى لجميع العطاش (يو ٧ : ٣٧) ، الذى قال للمرأة السامرية « من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا ، فلن يعطش الى الأبد . بل الماء الذى أعطيه ، يصير فيه ينبوع ماء ينبع الى حياة أبدية » (يو ٤ : ١٤)

ماذا كان يقصد بعبارة « أنا عطشان » ؟

لا شك أنه كان عطشانا فعلا من الناحية الجسدية. ومن الناحية الروحية كان عطشانا أيضا لهذا الخلاص الذى يقدمه للعالم ، كان عطشانا لعبارة « قد أكمل » التى سيقولها بعد قليل ... مثلما قال للمرأة السامرية «اعطينى لأشرب» . ولم يكن يقصد هذا الماء المادى « الذى كل من يشرب منه يعطش أيضا » (يو ٤ : ٧ ، ١٣) ، والذى لم يأخذه منها. وانما كان عطشانا اليها هى والى أهل السامرة ، الى خلاصها وخلاصهم ...

ولم يقل « أنا عطشان » لكى يأخذ من الناس ماء . كان يعرف أنهم سيقدمون له خلا ! (متى ٢٧ : ٣٤، ٤٨). كان يعرف ذلك بلاهوته الذى ينكشف أمامه الغيب

والمستقبل • وكان يعرف ذلك من حيث معرفته بالنبوءة التي تقول « وفى عطشى يسقوننى خلا » (مز ٦٩ : ٢١) •

لم يقل « أنا عطشان » ليطلب منهم ماءا ، فالله لايمكن أن يلتمس معونة من البشر • وأيضا لأنه كان عازما أن يشرب كأس الألم حتى التمام • لذلك اعتفى عندما قدموا له خلا ممزوجا بالمر ، كنوع من التخدير لتخفيف ألمه ، و« لم يرد أن يشرب » (متى ٢٧ : ٣٤) •

انما أراد الرب أن يتمم النبوات عنه ، وأن يعلن أن الثمن قد دفع ، لكى يطمئن البشر •••

أما البشرية الخاطئة فاستهزأت به فيما هو يدفع ثمن خلاصها • فقدموا له خلا فى عطشه ، لكى يزيدوا ألمه ألما •• أترانا نحن نفعل ذلك أيضا ، وكلما يطلب الرب أن يرتوى بخلاصنا ، ويشرب من نتاج كرمته التى يسرى عصيرها فى عروقنا ، أترانا نقدم له خلا بأفعالنا الرديئة وبلهونا وعبثنا واهمالنا ؟!

يا أخى اخفض تلك القصبة التى ترفعها الى فم المسيح، وابعد عن شفتيه تلك الاسفنجة المملوءة خلا ، واندم على جرحك لمشاعر من أحبك • واعمل اعمالا تليق بالتوبة •

واذا سمعت الرب يقول « أنا عطشان » ، فقل له : أنا يا رب الذى جففت حلقك بخطاياى • ليتنى أستطيع أن أرويك بدموعى • ليتك تضرب بعصاك هذه الصخرة الصلبة — التى هى قلبى — وتفجر منها ماءا يرويك •••

الكلمة السادسة

قد أكمل (يوحنا ١٩ : ٣٠)

المسيح الهنا البار ، الكامل فى كل شىء ، القدوس الذى بلا خطية وحده ، الذى عاش على الأرض حياة كاملة استطاع أن يرضى بها الله الأب ، هو أيضا كان كاملا فى كرازته وفى خدمته • استطاع أن يكمل رسالته التى اعطاه الآب أياها ، ويصيح صيحة النصرة الأولى •

« **العمل الذى اعطيتنى لأعمل ، قد أكملته** » » •

(يو ١٧ : ٤)

لقد استطاع أن يكمل كل بر • كمل بر الناموس كله ، وصاح أمام الناس « من منكم يبكتنى على خطية » (يو ٨ : ٤٦) • كما كمل أيضا جميع النبوءات الخاصة به والخاصة بعمل الفداء العظيم ••• فى سنوات قليلة ، حوالى ثلاث سنوات وبضعة شهور ، استطاع أن يعمل أعمالا لم يعملها أحد من قبل ، واستطاع أن يكرز ببشارة الملكوت ويقول للآب « أنا مجدتك على الأرض ••• أنا أظهرت اسمك للناس الذين أعطيتنى من العالم ••• الكلام الذى أعطيتنى قد

أعطيتهم ... الذين أعطيتني حفظتهم ، ولم يهلك منهم أحد ... عرفتهم اسمك ، وسأعرفهم » (يو ١٧) .

وهكذا أكمل النبوءات ، وأكمل الطاعة وأكمل كل بر ، وأكمل عمله الكرازى ، وأكمل الحب اذ أحب خاصته الذين فى العالم ، أحبهم حتى المنتهى » (يو ١٣ : ١) . ثم صعد على الصليب ليكمل عمل البذل ، ويكمل الفداء والكفارة والخلاص ... ويكمل عمل المصالحة الذى به يصلح السمائيين مع الأرضيين ....

وفوق هذا المذبح ، وضع الله عليه اثم جميعنا ... وضع الله عليه جميع الخطايا ، لجميع الناس ، فى جميع الأجيال ، من آدم الى آخر الدهور ، بكل ما فيها من بشاعة ومن دنس ومن خيانة ومن ضعف ... بكل ما فيها من زنا وفجور وكذب وسرقة وقتل وحسد وكبرياء ... حتى صاح الابن قائلا « قد أكمل » ... ونحن نضع أيدينا على هذه الذبيحة الطاهرة ، ونعترف كل يوم بخطايا جديدة ، نضيفها الى آلامه لكى يمحوها بدمه الكريم ...

وكما كملت الخطايا على كتفيه ، كمل أيضا العار الواقع عليه ... وهكذا قال فى ذلك « بذلت ظهرى للضاربين ، وخدى للناتفين . وجهى لم استره عن خزى البصاق » (أش ٥٠ : ٦) . وقال أيضا « كل الذين يروننى يستهزئون بى .. عار عند البشر ومحتقر الشعب » (مز ٢٢ : ٧ ، ٦) .

فى كل هذا تعرض للضرب والاهانة والجلد والاستهزاء ، وكل صنوف التحقير والتهكم ، وكلمات التجديف والتعيير وكانوا يلطمونه قائلين تنبأ لنا أيها المسيح من لطمك » (متى ٢٦ : ٦٧ ، ٦٨) !! والبسوه الثوب الأرجوانى وأكاليل الشوك ، وطافوا به وسط صيحات التحقير ، وأحصوه مع أثمة ، وصلبوه بين لصين ليحققوا فيه قول الكتاب « ملعون كل من علق على خشبة » » (غل ٣ : ١٣) (تث ٢١ : ٢٣) ٠٠٠ وهكذا « صار لعنة لأجلنا » ٠ وفوق الخشبة أيضا اشبعوه اهانات وسبا ، حتى لينظر الى كل هذا العار ويقول : قد أكمل ٠٠٠

وكما كمل عاره كملت آلامه بالجسد ، وكمل الغضب الواقع عليه ٠٠٠ دفع الثمن كله ، وقدم نفسه فدية ، وظلت النار تشتعل فى ذبيحة المحرقة حتى حولتها الى رماد (لا٦:١٠)٠ ولما رأى السيد الرب أنه قد أكمل عمل الكفارة والفداء ، وأنه أعطى العدل الالهى كل ما يطلب ولم يعد له شىء بعد ، صاح فى نصرة قائلا « قد أكمل » ٠٠٠

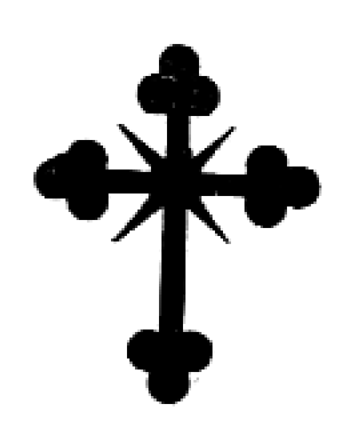
قد أكمل عمل الخلاص للجميع ، وتم الفداء ، واستطاع نسل المرأة أن يسحق رأس الحية ٠٠٠ استطاع الله وقد « ملك على خشبة » (مز ٩٦ : ١٠) أن يدمر مملكة الشيطان٠ الآن أصبحت الكفارة كاملة كافية للكل ٠ الآن ينشق حجاب الهيكل ، ويفتح الطريق أمام قدس الأقداس ٠٠٠ لقد كمل

الصلح ، وكمل الرجاء أمام القديسين الراقدين • ولم يبق الآ أن يقوم الرب كجبار ، يتقلد سيفه على فخذه ، ويستله وينجح ويملك (مز ٤٥ : ٣) • لذلك صاح الرب فى فرح « قد أكمل » •••

ان عبارة « قد اكمل » هى هتاف الفرح والانتصـــار • هتف به الرب الذى صارع وملك • واستطاع أن يشترينا بثمن ، ويؤسس ملكوته الروحى ، ويحطم مملكة الشيطان الذى كان يدعى من قبل « رئيس هذا العالم » •
(يو ١٤ : ٣٠)

هل تستطيع يا أخى أن تنجح مثل الرب ؟ هل تستطيع أن تصعد على الصليب ، وتسحق رأس الحية ؟ هل تستطيع ان تنظر الى عملك الذى أعطاك الرب اياه وتقول «قد أكمل» . **ليتك تضع أمامك كل حين هذا الشعار الجميل « العمل الذى أعطيتنى لأعمل قد أكملته »** •••

ضع أمامك باستمرار صورة الرب الذى أكمل عمله •



الكلمة السابعة

يا أبتاه في يديك أستودع روحي (لو ٢٣: ٤٦)

لقد أكمل الرب عمله على الصليب .
كما أكمل عمله الذى كان له قبل الصليب .

وبقى له عمل آخر ليعمله بعد أن يسلم الروح على الصليب . بقى أن « يسبى سبيا ، ويعطى الناس عطايا » (أف ٤ : ٨) . بقى أن ينزل الى الجحيم ويبشر الراقدين على الرجاء . وينقل هؤلاء القديسين الراقدين من الجحيم الى الفردوس ، فاتحا أبواب الفردوس المغلقة منذ أيام الخطية الأولى ...

لذلك اذ أتم الفداء ، لم يعد هناك داع للتأخير . عليه اذن أن يخرج من هذا الجسد ليكمل عمل الخلاص الخاص بالراقدين أيضا . فليسلم الروح اذن فى يدى الآب حتى يمكنه أن يعمل الأعمال التى موعد عملها بعد الموت . وهكذا صرخ بصوت عظيم « يا أبتاه فى يديك استودع روحى » ...

فى يديك أنت استودعها ، وليس فى يدى غيرك ..
«رئيس هذا العالم يأتى ، وليس له فى شيء» (يو١٤: ٣٠) . أنا من عند الآب خرجت ، وأتيت الى العالم ، وأيضا أترك العالم وأرجع الى الآب » (يو ١٦ : ٢٨) .

كم أشتاق رئيس هذا العالم أن يحصل على هذه النفس، أن يقبض عليها كسائر الأرواح التى فى السجن • ولكنه لن يقدر على هذه النفس بالذات التى سيستقبلها الآب فى يديه• نفسى هذه لا يستطيع أحد أن يأخذها منى • لى سلطان أن أضعها ، ولى سلطان أن آخذها أيضا (يو ١٠ : ١٧ ، ١٨) •

ان روح لعازر المسكين ـ عندما خرجت من جسده ـ حملتها الملائكة (لو ١٦ : ٢٢) • وروح العذراء حملها المسيح • أما روح المسيح فيحملها الله الآب •

يقول معلمنا متى الرسول ان المسيح « صرخ بصوت عظيم » (متى ٢٧ : ٥٠) وأسلم الروح • فماذا نفهم من عبارة « صرخ بصوت عظيم » •

لاشك أنه من الناحية الجسدية كان فى منتهى الانهاك والارهاق • بعد كل تعبه فى حمل الصليب حتى وقع تحته ، وبعد تعب الجلد واللطم والصلب ، وبعد أن سال مافى جسده من دم وماء ، وبعد أن جف حلقه حتى قال « أنا عطشان » • كيف يصرخ بصوت عظيم وقد لصق لسانه بحنكة ؟!

ان صراخه فى ساعة الموت « بصوت عظيم » دليل على أن له قوة أخرى فوق قوة الناسوت ، أى دليل على لاهوته •

صراخه بصوت عظيم دليل على انتصاره ، لأنه بالموت داس الموت وقهره • هذه الصرخة زعزعت الشيطان وقهرته • حقا كان فى موت المسيح نصرة ، نصرة الفادى الذى استطاع أن يخلص العالم كله ، ويسحق رأس الحية •••

وفي عبارة « في يديك استودع روحى » طمأنة عظيمة لنا من جهـة خلود الروح • انهـا لا تنتهى بالموت ••• الموت بالنسبة لها مجرد عبور أو انتقال ، من حياة الى حياة • انما المهم في الموضوع كله هو : أين تستقر الروح بعد موتها • ان اطمأن الانسان على هذه النقطة ، استقبل الموت بفرح ، وقال : لى اشتهاء أن أنطلق ••

وأنت أيها الأخ : هـل أنت مطمئن على مصير روحك ؟ هل عندما تلفظها ـ بعد عمر طويل ـ ستودعها في يدى المسيح ، أو ستحملها الملائكة مثل روح لعازر ؟ أم سيقبض عليها الشيطان ويقول « انها لى • كانت من جندى ، تعيش في طاعتى ••• لذلك سآخذها لتكون معى » ! يا للهول !! اطمئن يا أخى اذن أين ستذهب روحك •

وضع أمامك باستمرار تلك الأغنية الجميلة « **لتمت نفسى موت الأبرار ، ولتكن آخرتى كآخرتهم** » (**عدد ٢٣ : ١٠**) •

اســـتودعها في يديه من الآن بالبعـد عن كل دنس ، وبالالتصاق كل حين بالرب • كن كملائكة الكنائس السبع الذين كان الرب ممسكا بهم في يده اليمنى • ضع نفسك أنت أيضا في يدى المســيح • وتأكد أنه سيسمعك صـوته الجميل وهو يغنى « أنا اعطيها حياة أبدية ، ولن تهلك الى الأبد ، **ولا يخطفها أحد من يدى** » • (يو ١٠ : ٢٨ ، ٢٩)

وكلما تحاربك الخطية بفكر أو شهوة ، اسأل نفسك في صراحة : هل روحى الآن في يدى الآب •••

فاعلية هـــذه الكلمات

هذه الكلمات الغالية التى قالها المسيح على الصليب ، فلنضعها نحن فى قلوبنا ، ولتكن ذات فاعلية فى حياتنا ·· لنقرأ كل كلمة منها فى امعان ، ونتفاعل معها ··· وسنضرب الآن مثالا لتفاعل القلب مع كلمتين منها :

■ يا أبتاه أغفر لهم ···

لقد علمنا الرب أن نقول فى الصلاة الربية « اغفر لنا خطايانا ، كما نغفر نحن أيضا لمن أخطأ الينا » · فاصبحت عبارة « يا أبتاه اغفر لهم » شرطا لازما للمغفرة ، لك أنت · فلا يظن أحد منكم أنه يمنح المغفرة لغيره عندما يقول « يا أبتاه اغفر لهم » · **فى الواقع أنه يأخذ المغفرة لنفسه · لأن شرط** الغفران الذى تأخذه أنت ، هو أن تغفر لغيرك · « اغفروا **يغفر لكم » (لو ٦ : ٣٧)** ·

ان السيد المسيح عندما علمنا الصلاة الربية ، لم يعلق على أية طلبة منها سوى هذه الطلبة الواحدة ، وهكذا قال « فانه ان غفرتم للناس زلاتهم ، يغفر لكم أيضـــا أبوكم السماوى · وان لم تغفروا للناس زلاتهم ، لا يغفر لكم أبوكم أيضا زلاتكم » (متى ٦ : ١٤ ، ١٥) ·

لذلك فان لم تغفر أنت للآخرين ، انما تمنع المغفرة عن نفسك ، وليس عن الآخرين • فان قلت « يا أبتاه اغفر لهم »، يرد عليك قائلا « وأنا أيضا اغفر لك » • اذن فمغفرتك للناس أمر أنت مضطر اليه ، لكي تنال المغفرة أنت أيضا ...
فالأفضل اذن أن تغفر من أجل المحبة ـ كما فعل المسيح ـ بدلا من أن تغفر اضطرارا من أجل أن يغفر لك ...

من الجائز أن هذه المغفرة تتعبك من الداخل ، ولا تكون سهلة على قلبك ... كيف أغفر لمن فعل بى كذا وكذا ، وأهاننى وأتعبنى وألصق نفسى بالتراب ؟! أقول لك : احتمل ... أنت فى الواقع فيما تعطى لهذا الانسان المغفرة، انما تعطيها أيضا لنفسك • فاغفر ، لكى يغفر الرب لك • وأقول مرة أخرى : ليتك تغفر عن حب ، وليس عن اضطرار •

السيد المسيح على الصليب تقدم ليأخذ مغفرة من الآب عن كل خطايا البشر ، فغفر لصالبيه أولا • وكأنه يقول للآب« سأغفر لهم كل ما فعلوه بى ، لكى تغفر أنت لى » ... ليس لكى يغفر له خطاياه ، فالمسيح بلا خطية (يو ٨ : ٤٦) • ولكن يغفر له الخطايا التى يحملها ، لأنه « حمل الله الذى يحمل خطايا العالم كله » (يو ١ : ٢٩) ، اذ قد « وضع عليه اثم جميعنا » (أش ٥٣ : ٦) •

قد تقول : كيف أغفر كل ما فعلوه بى ... يكفى اننى صامت لا أرد الشر بالشر ... لا يا أخى • ان هذا الصمت

لا يكفى . يجب أن تنتصر على نفسك من الداخل ، وتغفر .
وعندما تنتصر على نفسك من الداخــل ، وتغفر ، تكون قد صعدت على الصليب • وعندما تصعد على الصليب ، تستطيع أن تقول « لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه » (فى ٣ : ١٠) •
لقد دخلت فى شركة آلامه ، صــعدت معه على الصــليب وغفرت للمسيئين لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون •

■ اليوم تكون معى فى الفردوس :

قل لنفسك : لكى اسمع هذا الوعد من المسيح ، ينبغى أن أقول كما قال اللص « نحن بعدل جوزينا » ••• ان اللص اليمين لم يعتف من الآلام التى وقعت عليه ، انما طلب مغفرة فى الأبدية • فكن مثله ، ولا تكن مثل اللص الذى على الشمال الذى طلب أن ينزل المســيح من على الصليب وينزله معه « يخلص نفسه وايانا » •••

مسكين هذا الجاهل ، ان فى نزول المسيح عن الصليب هلاك للعالم أجمع • لو كان هذا اللص يسعى لخلاص نفسه ، لقال : انتظر يا رب قليلا على الصليب ، من أجلى ، لكى لا أهلك ••• أرجوك يا رب ، احتمل من أجلى ، احتمل حتى الموت لتدفع ثمن خطاياى •••

كن يأخى روحانيا كاللص اليمين الذى فكر فى أبديته ، ولا تكن جسدانيا كاللص الشمال الذى فكر فى خلاص جسده فقط ••

ولا تهرب من الضيقات التى تقع عليك ، بل فى كل ضيقة قل عبارة اللص التائب « نحن بعدل جوزينا » ..

وكما تطلب من الرب أن يذكرك فى ملكوته ، اذكره أنت أيضا على الأرض ، والصق قلبك بمحبته ..

ولا تطلب أن يذكرك الـــرب فقط على الأرض بل فى ملكوته . ان كان فى الأرض مسامير أو صليب ، لا يهم .. المهم هو مصيرك فى الملكوت . حسن أن نقضى حياتنا الأرضية هنـــا على الصـــليب . انما المهم أن نكون مع الـــرب فى فردوســـه ...

لا تفكر أن تنزل من على صليبك ، بل احتمل وأصبر

رقم الايداع بدار الكتب رقم ٢٥٣٩ لسنة ١٩٧٠

امام صورة المسيح المصلوب

وقف المهاتما غاندى زعيم الهند الروحى

وبكى ...

ان آلام المسيح هى أعمق ما يؤثر فى النفس

فيها الحب فى عمقه ، وفى علوه

وفيها البذل

وفيها الصفح العجيب ، والمغفرة

وفيها وفاء العدل الالهى

من اجل هذا استبقى الرب آثار جروحه

لتبقى مجال تامل فى حبه ، الى أبد الدهر

ليتنا نعيش فيها ، وتعيش فينا

وتمحو ما كل طياشة ، وكل حب للعالم



الثمن ٥ قروش

مطبعة دار العالم العربى